

أرواح ماقيل في الزهر

الدكتور يحيى شامي



دار الفكر العربي
بيروت

مكتبة الإسكندرية

Bibliotheca Alexandrina



0159781

أروع ما قيل في الزهد

أروع ما قيل في الزهد

الدكتور يحيى شامي



دار الفكر العربي
بيروت



دار الفكر العربي

للطباعة والنشر

كورنيش المتزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ترب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت، لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى ١٩٩٢

مقدمة

الزهد، في اللغة، خلاف الرغبة في الشيء، أو الحرص عليه. وفي الاصطلاح هو الكفّ عن المحارم، والتوبة إلى الله؛ وهو القناعة، والاكتفاء بالحاجة، والرضى بالقليل، وصرف النظر عن بهرج الحياة وزينتها؛ وهو نهى النفس عن الهوى، وتخلية القلب، وصفاءه، ورقته وشفافيته.

والزهد أحد أغراض الشعر العربي الغنائي، خطأ خطواته الأولى بصورة غير مستقلة، فظهر أول ما ظهر، في تضاعيف القصيدة الحكمية، أو غير الحكمية، وما لبث أن استقل بنفسه، فكان ثمة قصائد ومقطوعات شعرية مستقلة، وأضحى له رواده وعشاقه وممثلوه الحقيقيون.

والزهد بخلاف التصوف الذي هو الانقطاع التام عن الدنيا، والانصراف إلى العبادة، والاستغراق في ذات الله، والذوبان في عالم الروح الأرحب؛ وهو يشكل بحد ذاته مذهباً فكرياً قائماً بنفسه، ويحتاج إلى بحث مستقل ليس في هذا الكتاب

مجال الحديث عنه ، أو انتخاب نماذج شعرية منه .

ولا ينكر دور الإسلام في تعزيز ظاهرة الزهد، ذلك أن تعاليم الدين الجديد تحث، بوجه عام، على الورع، والتزود بالتقوى، والعمل للآخرة بالتهجد والعبادة، والانقطاع عن الرغبة في الحياة الدنيا.

وثمة عوامل كان لها تأثير في ازدهار الشعر الزهدي، ولا سيما في العصر العباسي، وفي القرنين الثاني والثالث للهجرة خاصةً، منها العامل السياسي، ويتمثل بانصراف عدد من الشعراء إلى قول شعر الزهد بعيداً عن الخوض في المسائل السياسية والدينية والمذهبية التي كانت قائمة يوم ذاك، والتي كانت تشكل لبّ الصراع بين العرب والموالي، والأموية والعباسية، والقيسية واليمينية، وبين القدرية والجبرية، والمرجئة والمعتزلة والأشعرية، والشيعة والسنية... إلخ.

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور شعر الزهد، العامل الاجتماعي الأخلاقي، ويتمثل بظهور فئة من الشعراء الذين ساءهم شيوع اللهو والمجون، وتفشي الخمرة والغناء، وكثرة عدد الجواري والإماء والغلمان، فلم يستطع هؤلاء الشعراء أن يقفوا في وجه هذا التيار الجائش، فعكفوا على ذواتهم، وراحوا يعبرون عن نقمتهم وسخطهم، بالإخلاص إلى أنفسهم نجياً، وبالتعبير عن صفاء النفس بأروع آيات الشعر الزهدي.

وثمة عامل هو العامل الثقافي الذي على أساسه تبلورت مفاهيم الزهد، وأرسيت قواعده، ويتمثل بتأثير الأفكار الصوفية الدخيلة من فارسية وهندية ويونانية ومسيحية، فظهر أثر هذا كله في فكر عدد من كبار الشعراء الزهاد.

وأياً يكن العامل المؤثر في ظهور شعر الزهد، هذا النبع الثري الذي فاضت به قرائح الشعراء، وإليه اطمأنت نفوسهم التي تمردت على الطمع والشهه والترف، مستنيرة بهدي العقل والدين، فإن مما لا شك فيه أن بواكير هذا الشعر ظهرت في العصر الجاهلي، وإن لنا في شعر بشر بن أبي خازم، وليد بن ربيعة العامري، وعدي بن زيد العبادي، في العصر المذكور، وفي حكمة علي بن أبي طالب وفي الشعر المنسوب إليه، في العصر الإسلامي، وفي شعر منصور التميمي، ومحمد بن يسير، وعبد الله بن المبارك، ومحمود الوراق، وصالح بن عبد القدوس، وأبي نواس، وأبي العتاهية، في العصر العباسي، ما يعزز ما ذهبنا إليه من قبل، فكانت أشعار هؤلاء جميعاً، وأشعار غيرهم من الشعراء دليلاً صادقاً على تعزيز ظاهرة الزهد، وبروز هذا الغرض الشعري الذي أخذ مكانه عالياً في أغراض الشعر الغنائي العربي.

واستتباعاً للفائدة، وتمشياً مع أصول البحث المنهجي، وانسجاماً مع تدرج الشعر في عصور الأدب العربي، ولأن جلّ

ما قيل في الزهد، كان ثمرة مواهب شعراء العصر العباسي ،
فإننا قسمنا هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي التالية :

١ - في ما قبل العصر العباسي .

٢ - في العصر العباسي .

٣ - في ما بعد العصر العباسي .

والمهم في الأمر، هو أننا حرصنا، في هذا الكتاب، على
أن نشرك القاريء في أمر اختيارنا أفضل ما قيل في شعر
الزهد، ومن هنا كان اسم الكتاب «أروع ما قيل في الزهد»،
فإن سرّ قارئنا ما اخترناه له فنعماً ذلك، وإن ساءه أو أضرّ
بذوقه، فمعذرة من الذنب، واعتذاراً عن سقم الذوق وسوء
الاختيار. وإلى اللقاء في غرض آخر من أغراض شعرنا العربي
الغنائي .

د. يحيى شامي

الباب الاول

في ما قبل العصر العباسي

عدي بن زيد

(وكذاك الدهر حالاً بعد حال)

من رائع الشعر الحكمي والزهدي معاً، وهو على قدر
كبير من الجودة، والمتانة، والرقّة، والسلاسة معاً، ما قاله
الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي، وكان النعمان بن
المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة قد نزل، ومعه عدي، في
ظل شجرة مونقة ليلهو هناك، فقال له عدي: أيها الملك،
أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: وما الذي
تقول؟ قال: تقول:

مَنْ رَأَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ
أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قَرْنٍ زَوَالِ
وَصُرُوفِ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى لَهَا
وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ

رُبَّ رُكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا
يَمزجونَ الخمرَ بالماءِ الزَّلَالِ
والأباريقُ عليها فُذُمُ
وجيادُ الخيلِ تَرْدِي فِي الجلالِ
عمروا الدَّهْرَ بعيشٍ حَسَنِ
قطعوا دهرَهُمْ غيرَ عَجَالِ
ثم أضحوا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ
وكذاك الدَّهْرُ حالاً بعدَ حالٍ^(١)

* * *

(أَيْنَ أَهْلُ الدِّيارِ)

ومن أحسن ما قاله عدي ، وكان سفيان بن عيينة يستحسنه ،
قوله :

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيارِ مِنْ قومِ نوحٍ
ثم عادٌ مِنْ بَعْدِها وِثْمودُ
بينما هم على الأَسيرةِ والأنماطِ
أفضتْ إلى التُّرابِ الخدودُ

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢٩٤/١ . مكتبة المعارف . بيروت . وموفٍ :
مشرف . وصروف الدهر : حوادثه وشدائده . وصم الجبال القوية الصلبة .
والزلال : الصافي الرائق العذب . والفذم : أغطية أباريق الخمر .
وتردي : تسرع .

وصحيح أمس يعود مريضاً
وهو أدنى للموت فمن يعود
ثم لم ينقض الحديث ولكن
بعد ذا كله وذاك الوعيد^(١)

* * *

(أين كسرى)

رائع شعر عدي، قوله في الزهد، وفي وصف الدنيا:
أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الملوكة
أنوشروان أم أين قبله سابور
وبنو الأصغر الكرام ملوك الروم
لم يبق منهم مذكور
وأخو الحصن إذ بناه وإذ دجلة
تجبي إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلساً
فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد
الملك عنه فبأبه مهجور

د الفريد، لابن عبد ربه ٣٢٣/١. لجنة التأليف والترجمة والنشر
أهرة ١٩٦٥ م.

ثم صاروا كأنهم ورق جف
فألوت به الصبا والدبور^(١)

* * *

جبله بن حريث

(والدهر في كل حاله دهاير)

ومن أروع شعر الزهد، وأرقه، وأكثره إثارة، قول جبله بن
حريث العذري مناجياً نفسه، مخاطباً قلبه:

يا قلب إنك في الأحياء مغرور
فأذكر وهل ينفعك اليوم تذكير
حتى متى أنت فيها مدنف وله
لا يستفزك منها البدر والحدور
قد بحث بالجهل لا تخفيه عن أحد
حتى جرت بك أطلاق محاضير
تريد أمراً فما تدري أعاجله
خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستغفر الله خيراً وأرضين به
فبينما العسر إذ دارت مياسير

(١) نفسه ١/١٢٥.

وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً
 إذ صار في الرّمسِ تغفوه الأعاصير
 حتى كأن لم يكن إلا توهُمُهُ
 والدَّهرُ في كلِّ حالٍه دهارير
 يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه
 وذو قرابته في الحيّ مسرور
 فذاك آخر عهدٍ من أخيك إذا
 ما ضُمَّنْتَ شِلْوَهُ اللُّحْدُ المحافير^(١)

* * *

بشر بن أبي خازم

(فإن العزّ في الياس)

ومن زهديات بشر بن أبي خازم، قوله:

إِضْرَعْ إِلَى اللَّهِ لَا تَضْرَعْ إِلَى النَّاسِ
 وَأَقْنَعْ بِيَأْسٍ فَإِنَّ الْعِزَّ فِي الْيَأْسِ
 وَاسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ
 إِنَّ الْغِنَى مَنْ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ^(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ١/٣٢٦.

(٢) نفسه ١/٣٢٨.

(وجرى بالخير سعد)

وقريب من المعنى الأول قوله :

ليس يُجدي الحرصُ والسَّـ
 عيُّ إذا لم يكُ جدُّ
 ما لِمَا قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ
 مِنْ الأَمْرِ مَرْدُ
 قد جرى بالشَّرِّ نحسُّ
 وجرى بالخير سعد
 وجرى الناسُ على جر
 يهْمُ قَبْلُ وبعْدُ
 أَمِنُوا الدَّهْرَ وما للدهرِ
 والأَيَّامِ عهدُ
 غَالَهُمْ فَاصْطَلَمَ الجَمْعُ
 وأفني ما أعدُّوا
 إِنَّهَا الدُّنْيَا فلا تحفلْ بِـ
 هَا: جَزُرُ ومدّ^(١)

* * *

(١) نفسه ٣٢٩/١. وغالهم: أهلكهم. واصطلم: قطع وأهلك.

ليبد (ت ٤١ هـ)

(بلىنا وما تبلى النجوم الطوالع)

ومن جيد ما قاله أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، الشاعر
الجاهلي المخضرم، أبيات زهدية حكمية رائعة ضمنها مراثيه
لأخيه، ومنها قوله:

بلىنا وما تبلى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ
وتبقى الجبالُ بعدنا والمصانعُ
وما المرءُ إلَّا كالهِلالِ وضوئه
يحوِرُ رماداً بعد إذ هو ساطع
أليسَ ورائي إن تراخت منيتي
لزومُ العصا تُحنى عليها الأصابع
أخبرُ أخبارَ القرونِ التي مضتْ
أدبُ كَأَنِّي كَلَّمَا قَمْتُ رَاكِع
فلا تبعدن إنَّ المنيَّةَ موعِدُ
علينا فدانٍ لِلطُّلُوعِ وطالع
لَعَمْرُكَ ما تدري الضَّوَارِبُ بالحصي
ولا زاجراتُ الطَّيْرِ ما اللَّهُ صانع^(١)

* * *

(١) ديوان لبيد ٨٩ - ٩٠. تحقيق إحسان عباس الكويت ١٩٦٢ م. والمصانع: =

(وكل نعيم لا محالة زائل)

ومن أبيات لبيد الحكيمه، المشهوره، وفيها نلمس روح
الزهد في الحياة، وهو من أصدق القول:

ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خلا الله باطلٌ
وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ

* * *

(وبإذن الله ريثي وعجل)

ومن جيد حكمه وزهده، قوله:

مَنْ هِدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى
نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ
أَحْمَدُ اللَّهَ فَلَا نِدَّ لَهُ
بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلَ
إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ
وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلٌ^(١)

* * *

= المباني والدور. ويحور: يرجع. وضوارب الحصى: اللاتي يضربن
الطير. وزاجراته: الصائحات بالطير لمعرفة الخير من الشر تبعاً لطيرانه يمنة
أو يسرة.

(١) رسالة الغفران، للمعري، ص ١٢٥. دار صعب. بيروت ١٩٦٨ م.
والريث: المهل. والنفل. العطاء والخير والند: النظير.

الإمام علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ / ٦٦١ م)

(أين الأسيرة والتيجان والحلل)

الآيات التالية، وهي تدخل في صميم شعر الزهد، وتمثل الذروة منه حكمة ومثلاً وخاطرة وعبرة، لا يعرف قائلها بالتحديد، وإن نسبت إلى الإمام علي بن أبي طالب، فهي موجودة في طبقات ديوانه. وإذا فأت الإمام علياً، فإنها لم تفت أحد أبنائه وأحفاده من الأئمة الذين نسبت إلى بعضهم كالإمام الكاظم، والإمام الرضا. وفي مطلق الأحوال فإن القصيدة إن فأت هؤلاء فقد تكون نظمت في عهد العباسيين، بعد أن أفلت زمام الخلافة من أيديهم وصارت لعبة في أيدي القواد والولة من الأعاجم. وأياً يكن الدافع على وضعها، وأياً كان صاحبها فإننا نثبت أكبر قدر من أبياتها، نظراً إلى أهميتها، وهي التالية^(١):

بأثوا على قُلِّ الأَجبالِ تحرسُهم
غُلِبُ الرِّجالِ فلم تنفعُهم القُلُّ^(٢)
واستنزَلوا بعدَ عِزٍّ عن معاقِلهم
فأودِعوا حُفراً يا بَشَ ما نَزَلوا

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ٩٧. المطبعة العلمية. القاهرة ١٣١٩ هـ.

(٢) قُلِّ الجبال: رؤوسها. وغلب الرجال: أقوياءهم وأشدائهم.

ناداهمُ صارخٌ مِنْ بعيدٍ ما دُفِنُوا
 أينَ الأسيرةُ والتَّيجانُ والحُللُ
 أينَ الوجوهُ التي كانتْ مُنعمَةً
 مِنْ دونِها تُضربُ الأستارُ والكِللُ^(١)
 فأفصحَ القبرُ عنهم حينَ ساءَ لهم:
 تلكَ الوجوهُ عليها الدَّودُ يفتيلُ
 قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا
 فأصبحوا بعدَ طولِ الأكلِ قد أكلوا
 وطالما كثَّروا الأموالَ وأدَّخروا
 فخلَّفوها على الأعداءِ وأرتحلوا
 وطالما شيدوا دُورًا لِتَحْصِنَهم
 ففارقوا الدَّورَ والأهلينَ وانتقلوا
 أضحتْ مساكنُهم وَحْشًا مُعطلةً
 وساكنوها إلى الأجداثِ قد رَحَلوا^(٢)
 سلَّ الخليفةَ إذ وافَتْ منيَّتهُ
 أينَ الجنودُ وأينَ الخيلُ والخَوَلُ^(٣)

(١) الكِلل، جمع كلة، وهي الستر الدقيق.

(٢) الأجداث: القبور.

(٣) الخول: الخدم.

أين الكنوز التي كانت مفاتحها
 تنوء بالعصبة المقوين لو حملوا^(١)
 أين العبيد الأولى أرصدتهم عدداً
 أين العديد وأين البيض والأسل^(٢)
 أين الفوارس والغلمان ما صنعوا
 أين الصوارم والخيطية الذبل
 أين الكفاة ألم يكفوا خليفتهم
 لما رأوه صريعاً وهو يبتهل
 أين الكماة أما حاموا أما غضبوا
 أين الحماة التي تحمى بها الدؤل^(٣)
 أين الرماة ألم تمنع بأسهمهم
 لما أتتك سهام الموت تنتضل
 هيهات ما منعوا ضيماً ولا دفعوا
 عنك المنيّة إذ وافى بها الأجل
 ما ساعدوك ولا واساك أقربهم
 بل أسلموك لها يا بشس ما فعلوا

(١) تنوء: تعجز.

(٢) البيض: السيوف. والأسل: الرماح.

(٣) الكماة: الأبطال. والضيم: الذل.

ما بَالُ قَبْرِكَ لَا يُنْثَى بِهِ أَحَدٌ
 وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ^(١)
 ما بَالُ قَصْرِكَ وَحِشاً لَا أَنْيَسَ بِهِ
 يَغْشَاكَ مِنْ كَنْفِيهِ الرُّوعُ وَالْوَهْلُ
 ما بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيّاً وَمُطَّرَحاً
 وَكُلُّهُمْ بِإِقْتِسَامِ الْمَالِ قَدْ شَغَلُوا
 لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ
 إِلَّا أَنْأَخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ
 وَكَيْفَ يُرْجَى دَوَامُ الْعَيْشِ مَتَّصِلاً
 وَرَوْحُهُ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مَتَّصِلُ
 وَجَسْمُهُ لِلْبَّانَاتِ الرَّدَى غَرَضُ
 وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ^(٢)

* * *

(لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ)

وَمِنْ مَأْثُورِ كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي الزَّهْدِ، وَفِي التَّقَرُّبِ
 إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالشُّكْرِ لَهُ، قَوْلُهُ:

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى
 تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتُمْنَعُ

(١) يَنْثَى: يَعْلَمُ. وَيَطُورُ: يَطُوفُ.

(٢) اللَّبَّانَاتُ: الْأَغْرَاضُ. وَالرَّدَى: الْهَلَاكُ.

إلهي وخلّاقِي وجِرْزِي وموئلي
إليكْ لدى الإِيسارِ واليُسْرِ أَفْزَع
إلهي لئنْ خَيَّيْتَنِي وطَرَدْتَنِي
فمنْ ذا الذي أَرْجُو ومنْ ذا أَشْفِيعُ
إلهي تَرى حالي وذَلِّي وفاقتي
وأنتَ مناجاتي الخَفِيَّةَ تسمعُ
إلهي فلا تَقْطَعْ رجائي ولا تُزِغْ
فؤادي فلي في بابِ جودِكَ مَطْمَعُ
إلهي لئنْ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حَجَّةٍ
فحَبْلُ رجائي منكْ لا يَتَقَطَّعُ
إلهي إذا لم تَعْفُ عن غيرِ محسنٍ
فمنْ لِمُسِيءٍ بِالْهَوَى يَتَمَتَّعُ
إلهي لئنْ فَرَطْتُ في طَلَبِ التُّقَى
فها أنا إثرَ العَفْوِ أَقْفُو وأَتْبَعُ
إلهي أَقْلَنِي عَشْرَتِي وَأَمَحْ حَوْبَتِي
فإِنِّي مَقَرٌّ خَائِفٌ متَضَرِّعٌ^(١)
* * *

(١) تاريخ الآداب العربية ١٦١/١. رشيد يوسف عطا الله. ط ١. دار عز الدين. بيروت ١٩٨٥ م. والحوبة: الذنب.

الحسين بن علي (ت ٦٠ هـ / ٦٨٠ م)

(فما بال متروك به الحرّ يبخل)

وثمة بيتان منسوبان إلى الحسين بن علي بن أبي طالب،
يتضمنان معنى سامياً، هو الحث على التخلي عن جمع
المال، والحرص على طلبه وجمعه، وهما في غاية الروعة
والجودة، والبيتان هما التاليان :

إذا كانتِ الأرزاقُ قسماً مُقدَّراً
فقلَّةُ حرصِ المرءِ في الكسبِ أجملُ
ولو كانتِ الأموالُ للتركِ جَمْعُها
فما بال متروكٍ به الحرُّ يبخلُ

* * *

أبو الأسود (ت ٦٩ هـ / ٦٨٨ م)

(فادع الإله وأحسن الأعمال)

ولأبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو، واضع علم النحو
المشهور، أبيات في العزوف عن الدنيا، وفي الزهد والقناعة،
وهي تتميز بالسهولة والسلاسة :

وإذا طلبتَ مِنَ الحوائجِ حاجةً
فادعُ الإله وأحسنِ الأعمال

فَلْيُعْطِينَكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ
فَهُوَ اللَّطِيفُ لِمَا أَرَادَ فَعَالَا
وَدَعَ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطَلَابِهِمْ
لَهْجاً تَضَعُضَعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَا
إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ
بِيَدِ الْإِلَهِ يَقْلُبُ الْأَحْوَالَا^(١)

* * *

(فسيكفيك مسيئاً عمله)

ومن جيد قول أبي الأسود وبليغته:

أَيُّهَا الْأَمَلُ مَا لَيْسَ لَهُ
رُبُّمَا غَرَّ سَفِيهَا أَمَلُهُ
رُبُّ مَنْ مَاتَ يُمْنِي نَفْسَهُ
حَالٌ مِنْ دُونِ مَنَاهُ أَجَلُهُ
وَالْفَتَى الْمُحْتَالُ فِي مَا نَابَهُ
رُبُّمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ حِيلُهُ
قُلْ لِمَنْ قَدْ مَاتَ فِي أَشْعَارِهِ
يَهْلِكُ الْمَرْءُ وَيَبْقَى مَثَلُهُ

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ١٠٨/١. ط بولاق و ط دار الكتب
وتضعضع: تذل.

نَافِسِ الْمَحْسَنَ فِي إِحْسَانِهِ
فَسَيَكْفِيكَ مَسِيئاً عَمَلُهُ^(١)

* * *

شبيب بن البرصاء

(وإني لتراك الضغينة)

ومن جيد ما قاله شبيب بن البرصاء الشاعر الإسلامي
الأموي:

وإني لتراك الضغينة قد بدا
ثراها من المولى فلا أستشيرها
مخافة أن تجني علي وإنما
يهيج كبريات الأمور صغيرها
فلا خير في العيدان إلا صلابها
ولا ناهضات الطير إلا صقورها^(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

(٢) ديوان الحماسة، لأبي تمام ٧٠٦/٢. ط ١. دار القلم. بيروت والضعينة:
الذل. وناهضات الطير: الباسطة أجنحتها.

سعدون المجنون

(يا خاطب الدنيا)

ومن المجانين الذين كانوا عقلاء، وما هم بمجانين،
سعدون المجنون، العالم والزاهد البصري؛ وله شعر في
الحكمة والزهد لا يخلو من طرافة وجدة، وإن منه ذاك الذي
يذم به الدنيا، داعياً إلى التزود بالتقوى والعمل الصالح. يقول
سعدون، وهو من أسهل القول:

يا خاطب الدنيا إلى نفسي
إنَّ لها في كلِّ يومٍ خليلٌ
ما أقبح الدنيا بخُطابِها
تقتلهم عمداً قتيلاً قتيلاً
تستنكح البعل وقد وُطئت
في موضعٍ آخرَ منه البديل
إنِّي لمُغْتَرٌّ وإنَّ البلى
يعملُ في نفسي قليلاً قليل
تزودوا للموتِ زاداً فقد
نادى مُناديه الرّحيلَ الرّحيل^(١)

(١) شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث، لعلي عطوي. ص ٢٢٨. المكتب
الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.

(كذاك الدهر يبكيك)

ومن جيد شعره الزهدي، ذاك الذي يخاطب به الرشيد،
واعظاً ومحدّراً، وكان الرشيد قد خرج من مكة في موكب
مهيّب:

هَبِ الدُّنْيَا تُوَاتِيكَ
أَلَيْسَ الْمَوْتُ يَأْتِيكَ
فَمَا تَصْنَعُ بِالدُّنْيَا
وِظْلُ الْمِيلِ يَكْفِيكَ
أَلَا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا
دَعِ الدُّنْيَا لِشَانِيكَ
كَمَا أَضْحَكَكَ الدَّهْرُ
كَذَاكَ الدَّهْرُ يُبْكِيكَ^(١)

* * *

حميد بن ثور

(فلا تأمنن بيات المنون)

ومن الشعر الزهدي الذي قاله حميد بن ثور الهلالي،
الشاعر الإسلامي، والصحابي، مرشداً الإنسان إلى المصير
المحتوم، قوله:

(١) نفسه ص ١٨٣.

فلا تَأْمَنَنَّ بِيَاتَ الْمَنُونِ
وَكُنْ حَذِرًا حَذًّا أَظْفَارِهَا
فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَا أُسَارَتْ
مِنَ الْقَوْمِ عَادَتْ لِإِسَارِهَا^(١)

* * *

ميسون بنت بحدل

(ولبس عباءة وتقر عيني)

ومن أطف ما قيل في الزهد في الحياة، والعزوف عن
مباهجها، شعر قالت ميسون بنت بحدل الكلبيّة، وكان
معاوية بن أبي سفيان تزوجها وحملها إلى دمشق، فحنت إلى
البادية، التي نشأت فيها فقالت هذه الأبيات السهلة ذات
المسحة الزهدية. وهي التالية:

لَبَيْتُ تَخْفُقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفٍ
وَلَبَسْتُ عَبَاءَةً وَتَقَرَّ عَيْنِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَبْسِ الشَّفُوفِ

(١) حميد بن ثور الهلالي: حياته وشعره، لرضوان النجار. ص ١٧٥. رسالة
ماجستير ١٩٧٨ م.

وأصواتُ الرِّيحِ بكلِّ فجٍّ
 أحبُّ إليَّ من نقرِ الدُّفوفِ
 وأكلُ كُسَيْرَةٍ في كسرِ بيتي
 أحبُّ إليَّ من أكلِ الرغيفِ
 وخرقٌ من بني عمِّي نحيفٌ
 أحبُّ إليَّ من عِلْجٍ عَليفٍ^(١)
 * * *

مالك بن دينار

(تفانوا جميعاً)

ومن أطف المعاني الزهدية، في أرق الشعر وأجزله معاً،
 ما قاله مالك بن دينار، مولى بن أسامة بن لؤي، وكان زاهداً
 ورعاً، ومن رجال الحديث. يقول مالك:

أتيتُ القبورَ فنَادَيْتُهُنَّ
 أينَ المعظَّمُ والمحتَقَرُ
 وأينَ المذلُّ لِسُلْطَانِهِ
 وأينَ المزكَّى إذا ما افْتَخَرُ

(١) تاريخ الآداب العربية ص ٣٤. والأرواح، في البيت الأول، الرياح،
 ومنيف: عال. والشفوف: ما رَقَّ من الثياب. والعلاج: الضخم.
 والعليف: السمين. وهنا تشير إلى معاوية.

تفانوا جميعاً فما مُخْبِرٌ
وماتوا جميعاً وماتَ الخَبِرُ
تروُحُ وتغدو بناتُ الثَّرى
وتُمحى محاسنُ تلكَ الصُّورِ
فيا سائلي عن أناسٍ مضوا
أمالكَ في ما ترى مُعْتَبَرٌ^(١)

* * *

الطرماح (ت ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م)

(عجباً ما عجبت)

ومن الشعراء الوعاظ الحاثين على الزهد في متاع الدنيا،
والداعين إلى التمسك بحبل الله، وإلى العمل بالتقوى،
الطرماح بن حكيم، أحد شعراء الخوارج. يقول الطرماح:

كلُّ حيٍّ مستكملٌ عدَّةُ
العمرِ ومودٍ إذا انقضى عدَّةُ
عجباً ما عجبتُ من جامعِ المالِ
يُبَاهِي بهِ ويرتفدهُ
ويضيعُ الذي يصيِّره اللهُ
إليه فليس يعتقده

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٣٣/٢. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْمَخُولَ
 ذَا الثَّرْوَةِ خِلَانُهُ وَلَا وَلَدَهُ
 ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ وَخَصَمَاهُ
 وَسَطَ السَّجْنِ وَالْإِنْسُ رِجْلُهُ وَيدَهُ
 خَاشِعِ الطَّرْفِ لَيْسَ يَنْفَعُهُ
 ثُمَّ أَمَانِيهِ وَلَا لَذَّةُ^(١)

* * *

الفرزدق (ت ١١٠ هـ / ٧٢٩ م)

(أخاف وراء القبر)

والفرزدق على الرغم من فاحش هجائه، وخبث لسانه، فإنه
 نسك في أواخر حياته، ومما قاله في النسك والزهد، مصوراً
 هول يوم الحساب والقيامة:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي
 أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ التَّهَابِ وَأَضْيَقَا
 إِذَا قَادَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ
 عَنِيفٌ وَسَوَاقُ يَسُوقُ الْمَرْزُوقَا
 لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى
 إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ مَوْثَقَا

(١) شعر الزهد، ص ١١٨

إذا شربوا فيها الحميم رأيتهم
 يذوبون من حر الحميم تمزقاً^(١)

* * *

عبد الله بن معاوية (ت ١٣١ هـ / ٧٤٩ م)

(ما نالني من غنى)

من الشعراء الذين ثابوا إلى رشدهم من بعد غي ولهو،
 الشاعر الأموي عبد الله بن معاوية، من كرام بني هاشم
 وأجوادهم. ولقد صور في شعره شيئاً من الندامة على ما فات
 من عمره في معصية الله، كما ضمنه ملامح من الوعظ والزهد
 والإرشاد والتوكل على الله والرضى بالقليل من الرزق الذي
 كتب للمرء، وأنى يفوته، أو يدرك دون ما قسم له، وحول هذا
 المبحث الأخير يقول عبد الله:

قد يُرزق المرء لا من فضل حيلته
 ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الداهي
 ما نالني من غنى يوماً ولا عدم
 إلا وقولي عليه الحمد لله^(٢)

* * *

(١) الكامل في اللغة والأدب ٧١/١.

(٢) العقد الفريد ١٨٣/٢، والعدم: الفقر.

(ولكن سل الله من فضله)

ومن مواعظه التي تدور حول المعنى السابق ، قوله :

ألا تنزع القلب عن جهله
وعما تُؤنب من أجله
فأبدل بعد الصبا حلمه
وأقصر ذو العذر عن عذله
ولا تُتبع الطرف ما لا تنال
ولكن سل الله من فضله
فكم من مُقل ينال الغنى
ويُحمد في رزقه كليله^(١)

* * *

(الموت هول داخل)

وأمام هول الموت ، وصروف الدهر يقف الشاعر متأملاً
متسائلاً فيقول :

يا قوم كيف سواغ عيش
ليس تؤمن ناجعائه

(١) الأغاني ٧٨/١١ . وتنزع : تردع . والحلم ، العقل ، خلاف الجهل ،
والعذر : اللوم .

ليست تزال مظلّة
تغدو عليك مُنْغِصّاته
الموتُ هولٌ داخلٌ
يوماً على كرهٍ أناته
لا بدّ للحذرِ النَّفورِ
من أن تُقَنِّصَهُ رُمَاتُهُ^(١)

* * *

(١) المصدر نفسه ٢١٣/٣ . والحذر النفور: الأسد الهصور.

الباب الثاني

في العصر العباسي

ربيعة الرقي

(فإنّ المنية من خلفه)

ومن الشعر الزهدي الهاديء النبرة، اللين العبارة، ما قاله
ربيعة بن ثابت الأنصاري، وكان يسكن الرقة، وهو من شعراء
العصر العباسي الأول؛ يقول ربيعة ناصحاً وواعظاً:

ولا تسألِ النَّاسَ ما يملكونَ
ولكنْ سَلِ اللَّهَ وَاسْتَكْفِهِ
ولا تخضعنَّ إلى سَفَلَةٍ
وإنْ كانتِ الأرضُ في كَفِّهِ
فإنَّ اللَّئيمَ وإنْ خِلَّتْهُ
كريمًا يذودُكَ عن عُرفِهِ
ويرجعُ محصولُ أخلاقِهِ
إلى أصلِهِ وإلى صنْفِهِ

وكلّ مُقِلٍّ وذِي ثروةٍ
فإنَّ المنيّةَ مِنْ خَلْفِهِ^(١)

* * *

القاسم بن إبراهيم

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن أسلس الشعر الزهدي، وأسهله مأخذاً، وأغناه معنى،
ما وعظ به الناس القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن
علي بن أبي طالب، أخو محمد بن إبراهيم، الذي خرج في
عهد المنصور؛ يقول القاسم:

أيُّها الطَّالِبُ أَجْمِلْ وَأَقْتَصِدْ
وَأَرِخْ نَفْسَكَ مِنْ جَهْدٍ وَكَدٍّ
لا يَزِيدُ الحِرْصُ مِنْ رِزْقٍ ولا
يُنْقِصُ الإِخْمَالُ مِنْ رِزْقٍ أَحَدٌ
فَاتَّعِظْ واسْمَحْ لِمَا أَنْتَ لَهُ
وتزوّدْ زادَكَ اليومَ لِغَدٍ
إنّما الدنيا متاعٌ زائلٌ
عن قليلٍ وإلى الله المَرَدُّ^(٢)

(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني ١٧١/١. دار مكتبة الحياة. بيروت
١٩٦١ م. والسفلة: الرعاع. والعرف: المعروف. تحقيق هوارت دن.
ط بغداد وبيروت.

(٢) أخبار الشعراء، أو كتاب الأوراق، للصولي ص ١٩٦.

القاسم بن صبيح

(فإنك مجزي بما أنت صانع)

ويقول القاسم بن صبيح في المعنى نفسه :

سَأَطْلُبُ بِالْإِجْمَالِ مَا أَنَا طَالِبٌ
وإنِّي إِذَا مَا ضَاقَ رِزْقُ لَقَائِعُ
وإنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى
وما المَالُ إِلَّا عَارِضٌ وودائع
ألا أيُّهَا اللَّاهِي وَقَدْ شَابَ رَأْسُهُ
أَلَمَّا يَزْعُكَ الشَّيْبُ وَالشَّيْبُ وَازِع
تَرْحَلُ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
فإنَّكَ مَجْزِيٌّ بِمَا أَنْتَ صَانِعٌ^(١)

* * *

صالح بن عبد القدوس

(وأتى المشب فأين منه المهرب)

ومن الشعراء الذين اتهموا بالزندقة، وأسلسوا لشهواتهم
القياد، ثم ما لبثوا أن تابوا إلى ربهم، مخلفين شعراً في الزهد
والتوبة والموعظة، صالح بن عبد القدوس، أحد موالى الأزد،

(١) المصدر نفسه ص ١٨٥ . وبالإجمال : بالرفق والإقتصاد . وأبطر : أكفر .

في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية؛ يقول صالح
من شعر له . في غاية الجودة والفصاحة والسلاسة :

دَعْ هَذِهِ الدُّنْيَا عِدَاكَ زَمَانُهُ
وَأَزْهَدْ فَعُمُرَكَ مَرًّا مِنْهُ الْأَطْيَبُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرُبُ
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي لَا تَسْعَى لَهَا
دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
تَبًّا لِدارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرُبُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالْزَمْهَا تَفُزْ
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنَلْ فِيهِ الرِّضَا
إِنَّ الْمَطِيعَ لَهُ لَدَيْهِ مَقَرُّبُ
وَأَقْنَعْ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً
وَالْيَأْسُ عَمَّا فَاتَ فَهُوَ الْمَطْلَبُ^(١)

* * *

(١) شعر الزهد ص ٢٨٦ .

(فبلاؤه حسن جميل)

ومن شعر ابن عبد القدوس الزهدي ، شعره الآخر ويتميز
بالسهولة والرشاقة ، وفيه يقول :

اللَّهُ أَحْمَدُ شَاكِرًا
فَبِلَاؤُهُ حَسَنٌ جَمِيلٌ
أَصْبَحْتُ مُسْتَوْرًا مُعَافَى
بَيْنَ أَنْعَاجِهِ أَجُولُ
خَلَوُا مِنْ الْإِخْوَانِ خَفُ
الظُّهْرِ يُقْنَعُنِي الْقَلِيلُ
سَيِّانٍ عِنْدِي ذُو الْغِنَى
الْمُتَلَا فُ وَالْمُثْرَى الْبَخِيلُ
وَنَفِيتُ بِالْيَأْسِ الْمَنَى
عَنِّي فَطَابَ لِي الْقَلِيلُ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَنْ
خَفْتُ مَوْنَتُهُ خَلِيلُ^(١)

* * *

(بلوت أمور الناس)

ومن بديع زهدياته وحكمه قوله :

(١) المرجع نفسه ص ٢٨٧ .

بلوتُ أمورُ الناسِ سبعينَ حجةً
ولا بستُ صرفَ الدهرِ في العسرِ واليسرِ
فلم أرَ بعدَ الدينِ خيراً منَ الغنى
ولم أرَ بعدَ الكفرِ شراً منَ الفقرِ^(١)

* * *

محمد الباهلي

(والشيب للجهل حرب)

ومن الشعراء الذين تابوا إلى ربهم وزهدوا في الحياة الدنيا
من بعد ما قضوا حياة عامرة باللهو، محمد بن حازم الباهلي،
الشاعر العباسي الذي دخل يوماً على إبراهيم بن المهدي،
فناشده، وآكله، ولما حضر الشراب سأله إبراهيم أن يشرب
فأبى، ثم قال من جيد الشعر الزهدي وأسلسه:

أبعَدَ خمسينَ أضبو
والشَّيبُ لِجهلِ حَرْبُ
سِنٌ وشَيْبٌ وجهلٌ
أمرٌ لَعَمْرُكَ صعبٌ

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر، للسيد محسن الأمين ص ٤٢٤. بيروت

١٤٠١ هـ.

آلَيْتُ أَشْرَبُ كَأْساً
مَا حَجَّ لِلَّهِ رُكْبٌ^(١)

* * *

العلوي البصري

(قتلت الناس إشفاقاً)

ومن الأبيات الدالة على التأله، وفيها من روح الزهد
والندامة ما نسب إلى العلوي البصري من قول هو التالي :

قَتَلْتُ النَّاسَ إِشْفَاقاً
عَلَى نَفْسِي كَيْ تَبْقَى
وَحَزْتُ الْمَالَ بِالسَّيْفِ
لَكِي أَنْعَمَ لَا أَشْقَى
فَمَنْ أَبْصَرَ مِثْوَايَ
فَلَا يَظْلِمُ إِذَا خُلِقَا
فَوَا وَيْلِي إِذَا مَا مِتُّ
عِنْدَ اللَّهِ مَا أَلْقَى
أَخْلَداً فِي جِوَارِ اللَّهِ
أَمْ فِي نَارِهِ أُلْقَى^(٢)

(١) الأغاني ١٢/١٦٤.

(٢) رسالة الغفران ص ٢٢٦.

صوت

(ومضى بفصل قضائه أمس)

وقال أصبغ بن الفرّج: كان بنجران عابد يصيح في كل يوم
صيحيتين بهذين البيتين:

قطع البقاء مطالع الشمس
وغدوها من حيث لا تمسي
وطلوعها حمراء قانية
وغروبها صفراء كالورس
اليوم يُخبر ما يجيء به
ومضى بفضل قضائه أمس^(١)

* * *

محمد بن يسير

(أي صفواً إلى تكدير)

ومن أصفى الشعر الزهدي، وهو لا يخلو من الحكمة
والمثل، والطرافة والجدة، وهو في غاية الرقة والسلاسة،
والجودة ما قاله الشاعر العباسي المجدد، محمد بن يسير
الرياشي، وكأنما هو ينعي نفسه قبل الموت. يقول:

(١) العقد الفريد ١/٣٢٢. والورس: الزعفران.

أَيُّ صَفْوٍ إِلَّا إِلَى تَكْدِيرِ
 وَنَعِيمٍ إِلَّا إِلَى تَغْيِيرِ
 وَسُرُورٍ وَلَذَّةٍ وَحُبُورٍ
 لَيْسَ رَهْنًا لَنَا بِيَوْمٍ عَسِيرٍ
 عَجَبًا لِي وَمِنْ رِضَائِي بِدُنْيَا
 أَنَا فِيهَا عَلَى شَفَا تَغْرِيرِ
 عَالَمٌ لَا أَشْكُ أَنِّي إِلَى اللَّهِ
 إِذَا مِتُّ أَوْ عَذَابِ السَّعِيرِ
 ثُمَّ أَلَهُو وَلَسْتُ أَدْرِي إِلَى
 أَيِّهِمَا بَعْدَهُ يَصِيرُ مَصِيرِي
 أَيُّ يَوْمٍ عَلَيَّ أَفْظَعُ مِنْ يَوْمٍ
 بِهِ تُبْرَزُ النُّعَاةُ سَرِيرِي
 كُلَّمَا مُرَّ بِي عَلَى أَهْلِ نَادٍ
 كُنْتُ حِينًا بِهِمْ كَثِيرَ الْمُرُورِ
 قِيلَ مَنْ ذَا عَلَى سَرِيرِ الْمَنَايَا
 قِيلَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ يُسَيْرٍ^(١)

* * *

(١) الكامل في اللغة ٢٤٢/١. ورهناً: وقفاً. وشفا: حافة. والتغريير: الخداع. وسريري: كناية عن النعش. والمنايا، جمع مية، الموت وعسير: شديد. والحبور: الفرحة والبهجة.

(ويل لمن لم يرحم الله)

ويتمثل خوف ابن يسير من مواجهة الموت، بل من مواجهة ما بعد الموت، بقوله الذي يتحسر فيه على الأيام التي قضاها في غير جنب الله، فيقول نادماً متحسراً:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْ اللَّهُ
وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
يا حسرتي في كل يومٍ مضى
يذكرُني الموتُ وأنساه
مَنْ طَالَ فِي الدُّنْيَا بِهِ عَمْرُهُ
وعاشَ فَأَلَمْتُ قُصَارَاهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ
قَدْ كُنْتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ
وسارعَ اليُسْرَى إِلَى رَبِّهِ
يَرْحُمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ^(١)

* * *

سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ)

(وذخره الله العلي الكبير)

من أجمع رجال الحديث والتصوف في المائة الثانية من

(١) الأغاني ١٢/١٣٧. ومثواه: مقرة. وقصاراه: غايته. وأغشى: آتى.

الهجرة، أبو عبيدة سفيان بن سعيد الثوري الذي دعا إلى تعزيز الثقة بالله، والاعتماد عليه، وأن يفوض له الأمر، بصدق، وبقناعة الزاهدين، وصبر التائبين. يقول سفيان ناصحاً وواعظاً:

إِنْ كُنْتَ تَرْجُو اللَّهَ فَاقْنَعْ بِهِ
فَعِنْدَهُ الْفَضْلُ الْكَثِيرُ الْبَشِيرُ
مَنْ ذَا الَّذِي تَلْزُمُهُ فَاقَةٌ
وَذُخْرُهُ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ^(١)

* * *

(إذا أنت لم ترحل بزاد)

كما يقول ثانية:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
وَلَا قِيَتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمَثَلِهِ
وَأَنَّكَ لَمْ تَرُصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا^(٢)

* * *

(١) شعر الزاهد ص ١٠٧ . والفاقة: الفقر.

(٢) نفسه ص ١٠٨ .

الفضيل بن عياض (ت ١٨٧ هـ)

(وبعد الثمانين ما ينتظر)

ومن أرق الشعر الزهدي ، وألصقه بالنفس ، وأصدقه ، ما
عبر به عن نفسه الفضيل بن عياض ، المروزي اليربوعي ،
وكان محدثاً وزاهداً ؛ يقول الفضيل الذي بلغ الثمانين أو كاد :

بَلَّغْتُ الثَّمَانِينَ أَوْجُزْتُهَا
فَمَاذَا أُوَمِّلُ أَوْ أَنْتَظِرُ
أَتَى لِي ثَمَانُونَ مِنْ مَوْلِي
وَبَعْدَ الثَّمَانِينَ مَا يُنْتَظَرُ
عَلَّتْنِي السِّنُّونَ فَأَبْلَيْتَنِي
فَرَّقَتْ عِظَامِي وَكَلَّ الْبَصَرُ^(١)

* * *

بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م)

(كيف يبكي لمحبس في طول)

ومن الشعراء الذين انصرفوا إلى اللذائذ ولهو العيش ، وما

(١) شعر الزهد ص ١١١ . ويقال إن الشطر الثاني من البيت الأخير ، أتمه
علي بن خشرم ، وكان حاضراً لما قال الفضيل : (علتني السنون فأبليتني) ،
فخففته العبرة ، ولم يستطع إتمام الكلام .

لبثوا أن تابوا إلى ربهم، وعادوا عن غيهم، بشار بن برد،
الشاعر العبّاسي المجدد، وكان أعمى.

ويتميز شعره بالجدة والطرافة والعمق والابتكار. يقول بشار
ذاكراً هول المحشر، ويدخل شعره في الزهد. ولا يخلو من
نزعة تأملية:

كَيْفَ يَبْكِي لِمَحْبَسٍ فِي طُلُولِ
مَنْ سَيَقْضِي بِحَبْسٍ يَوْمٍ طَوِيلِ
إِنَّ فِي الْبُعْثِ وَالْحِسَابِ لَشَغْلًا
عَنْ وَقُوفٍ بِرَسْمِ دَارٍ مَحِيلِ^(١)

* * *

(وليس لأيام المنون خليل)

وقال في موضع آخر، ويدخل في المعنى نفسه تقريباً، وهو
من جيد الشعر، وأفصحه:

بدا لي أَنَّ الدَّهْرَ يَقْدَحُ فِي الصِّفَا
وَأَنَّ بَقَائِي إِنْ حَيِّتُ قَلِيلُ
فَعِشْ خَائِفاً لِلْمَوْتِ أَوْ غَيْرِ خَائِفٍ
عَلَى كُلِّ نَفْسٍ لِلْجَمَامِ دَلِيلُ

(١) البيان والتبيين، للجاحظ ٣/١٦٤. دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.

خَلِيلُكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ التَّقَى
وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الْمُنُونِ خَلِيلٌ^(١)

* * *

(ويوم الحزن منه طويل)

ويقول أيضاً، وهو من جيد شعره في الزهد:
لَعَلُّكَ تَرْجُو أَنْ تَعِيشَ مَخْلُوداً
أَبَى ذَاكَ شُبَّانُ لَنَا وَكُھُولُ
وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ قِصَارٌ إِذَا سَرَتْ
بَخِيرٌ وَيَوْمُ الْحَزَنِ مِنْهُ طَوِيلٌ^(٢)

* * *

(وسعى ساع وأخطأ في الرّجا)

ومنه أيضاً قوله الآخر الرائع:
مَا أَرَاكَ الدَّهْرَ إِلَّا شَاخِصاً
دَائِبَ الرِّحْلَةِ فِي غَيْرِ عَنَا
فَدَعَ الدُّنْيَا وَعِشَّ فِي ظِلِّهَا
طَلَبَ الدُّنْيَا مِنَ الدَّاءِ الْقِيَا

(١) زهر الآداب، للحصري ٤٢٤/٢. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م.

(٢) البيان والتبيين ٤٧٤/٣.

رَبِّمَا جَاءَ مَقِيمًا رِزْقُهُ
وَسَعَى سَاعٍ وَأَخْطَى فِي الرَّجَا^(١)
* * *

الحسين بن مطير (ت ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م)

(فما لك نفسي بعدها تستعيرها)

ومن الشعر الغني بالحكمة والموعظة والكلمة الطيبة، ما
قاله الشاعر الأموي العباسي، الحسين بن مطير مولى بني
أسد بن خزيمة، يقول ابن مطير، وهو من جيد الشعر
وأفصحه:

وما الجودُ من فقرِ الرجالِ ولا الغنى
ولكنَّ ذا خيمِ الرجالِ وخيرُها
فكم طامعٍ في حاجةٍ لن ينالها
وكم يائسٍ منها أتاه بشيرُها
ونفسك أكرم عن أمورٍ كثيرةٍ
فما لك نفسٌ بعدها تستعيرُها
فمن يتبع ما يُعجبُ النفسَ لم يزلْ
مُطيعاً لها في فعلٍ شيءٍ يضيرُها

(١) ديوان بشار ٤/١٥٣. لجنة التأليف والترجمة. تونس ١٩٥٧ م.

ولا تقربِ الأمرَ الحرامَ فإنه
حلاوته تفتى ويبقى مريرها
ولا تُلْهِكَ الدنيا عن الحقِّ واعتمدْ
لِآخِرَةٍ لا بدُّ أنْ ستصيرُها^(١)

* * *

أحدهم

(ولعلَّ صهركَ صاحب البيت)

ومن جيد ما قال أحدهم في وصف الدنيا، وفي الموت
الذي لا بد منه، قوله:

زَيَّنْتَ بَيْتَكَ جَاهِلًا وَعَمَرْتَهُ
وَلَعَلَّ صَهْرَكَ صَاحِبُ الْبَيْتِ
مَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ سَائِرَةً بِهِ
فَكَأَنَّهُ قَدْ حَلَّ بِالْمَوْتِ
وَالْمَرْءُ مَرْتَهَنٌ بِسَوْفٍ وَلِيْتَنِي
وَهَلَاكُهُ فِي السَّوْفِ وَاللَّيْتُ
لِلَّهِ إِنَّ فَتًى تَدْبُرُ أَمْرَهُ
فَغَدَا وَرَاحَ مِبَادِرَ الْمَوْتِ^(٢)

(١) شعر الزهد ص ٦٢٧ . والخيم: الطبع والأصل . والخير: الشرف والأصل .
ومريرها: مرارتها .

(٢) العقد الفريد ١/ ٣٢٢ .

الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)

(كن كيف شئت)

للخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسس علم العروض، وأحد أبرز المفلقين من العلماء في عصره، أشعار تنم عن نفس شفاقة، زاهدة، وهي خلاصة لتجاربه في الحياة، ومن هذا القبيل، قوله:

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَقَضْرُكَ الْمَوْتُ
لَا مُزْحَلُّ عَنْهُ وَلَا فَوْتُ
بَيْنَا غِنَى بَيْتٍ وَبِهْجَتُهُ
زَالَ الْغِنَى وَتَقَوَّضَ الْبَيْتُ^(١)

* * *

(وما هي إلا ليلة ثم يومها)

ومنه أيضاً قوله:

وَمَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ ثُمَّ يَوْمُهَا
وَحَوْلٌ إِلَى حَوْلٍ وَشَهْرٌ إِلَى شَهْرٍ
مَطَايَا يُقَرَّبْنَ الْجَدِيدَ إِلَى الْبَلَى
وَيُذْنِنَ أَشْلَاءَ الْكِرَامِ إِلَى الْقَبْرِ

(١) عيون الأحبار، لابن قتيبة ٣٠٤/٢. والمزحل: الزوال، والتباعد. وتقوَّض: تهدم.

وَيَتَرَكْنَ أَزْوَاجَ الْغَيُورِ لِغَيْرِهِ
وَيَقْسِمْنَ مَا يَحْوِي الشَّحِيحُ مِنَ الْوَفْرِ^(١)

* * *

(فإن الذي هو آتٍ قريب)

ومنه، أيضاً، قوله:

وقبلكَ داوى الطَّبيبُ المريضَ
فعاشَ المريضُ وماتَ الطَّبيبُ
فكُنْ مستعدّاً لِدارِ الفناءِ
فإنَّ الذي هو آتٍ قريبُ^(٢)

* * *

(وإذا افتقرت إلى الذخائر)

وئمة بيت ينسب إلى الخليل، وهو في الغاية من البلاغة
والحكمة والتوجيه للتزود بالعمل الصالح، وهو التالي:

وإذا افْتَقَرْتَ إلى الذُّخَائِرِ لم تَجِدْ
ذُخْراً يَكُونُ كصالحِ الأعمالِ^(٣)

* * *

(١) وفيات الأعيان ٢٠٩/٥ - ٢١٠. والأشلاء: القطع. والشحيح: البخيل.

(٢) المصدر نفسه ٢١٠/٥.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ٢٤١/١.

العتابي

(إن القنوع الغنى لا كثرة المال)

للعنابي، واسمه كلثوم بن عمرو، من شعراء الدولة العباسية، زمن الرشيد والمأمون، شعر يتميز بالطبيعة والعفوية، وحسن التصرف بالكلام، وإن منه ذلك الذي يتسم بالحكمة والزهد، لجهة الحث على التخلي عن الطمع، والاكتفاء بالقليل. يقول العنابي:

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حِلٍّ وَتَرْحَالِ
وَطَوَّلِ شُغْلٍ بِإِدْبَارِ وَإِقْبَالِ
بِمَشْرِقِ الْأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبِهَا
لَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ مِنْ حَرْصٍ عَلَى بَالِي
وَنَازِحِ الدَّارِ مَا أَنْفَكُ مَغْتَرِبًا
عَنِ الْأَحْبَةِ مَا يَذْرُونَ مَا حَالِي
وَلَوْ قَنَعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَا
إِنَّ الْقَنُوعَ الْغِنَى لَا كَثْرَةَ الْمَالِ^(١)

* * *

(ذريني تجثني منيتي مطمئنة)

ولقد عاتبته امرأته مرة على ترك السعي إلى العمل،

(١) العقد الفريد ٢٠٩/٣. ونازح الدار: البعيد عنها.

والاكتفاء بالقليل، خلافاً لما فعله منصور النمري الذي اقتنى
الضياع، وبنى الدور، وجمع النساء. يقول العتابي متحدثاً عن
زوجته:

تلومُ على تَرْكِ الغِنَى باهليَّةُ
طوى الدهرُ عنها كلَّ طرفٍ وتالدِ
ذريني تجثني مُنيَّتي مطمئنَّةُ
ولم أتقحَّمْ هولَ تلكَ المواردِ
فإنَّ كريماتِ المعالي مشوبةُ
بمُستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ^(١)

* * *

(وليأتين عليك)

ومن لطيف شعر العتابي الزهدي، قوله:
المرءُ يجمعُ ما له مُستهتراً
فرحاً وليسَ بأكلٍ ما يجمعُ
وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمٌ مَرَّةً
يُنْكِي عَلَيْكَ مَقْنَعاً لَا تَسْمَعُ^(٢)

(١) عيون الأخبار ٢٣٢/١. والباهلية: المنسوبة إلى باهلة، القبيلة العربية
المعروفة. والطرف: الحديث من المال. والتالد: القديم، والأساود:
الحيات جمع أسود.

(٢) العقد الفريد ٢٩٧/٣. والمستهتر بالشيء: المولع به. وينكي: ينقلب
عليك.

ابن المبارك (ت ١٨١ هـ)

(ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا)

ومن الزهاد الذي يشار إليهم بالبنان، وحفظ التاريخ لهم
أسمى معاني القدر والاحترام، عبد الله بن المبارك، أحد أشهر
الفقهاء والعلماء في عصره، عنيت العصر العباسي الأول،
وأحد ألمع زهاد عصره، إطلاقاً، وإن من شعره الزهدي، ذاك
الذي كان يخاطب نفسه به في كل مرة يخرج فيها إلى الحج.
يقول ابن المبارك:

بُغْضُ الْحَيَاةِ وَخَوْفُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي
وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنًا
إِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدِلَهُ
مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلَا وَاللَّهِ مَا اتَّزَنَا^(١)

* * *

(فاستغن بالدين عن دنيا الملوك)

وإن من شعره الزهدي الآخر، وفيه يتعجب ابن المبارك من
الذين يسعون لدنياهم، فقصروا في ذات الله، وطمعوا بما عند
الناس من ملوك وغير ملوك. يقول في هذا المعنى:

(١) شعر الزهد ص ٩١.

أرى أناساً بِأَدْنَى الدِّينِ قد قَنَعُوا
ولا أراهم رَضُوا بِالعِيشِ بِالدُّونِ
فَاسْتَغْنَى بِالدِّينِ عَنِ دُنْيَا المُلُوكِ كما
اسْتَغْنَى المُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ^(١)

* * *

(يحصده الموت كلما طلعا)

وثمة أبيات قالها ابن المبارك يدعو فيها طالب العلم والناس
جميعاً، إلى مبادرة الزهد والورع، وهجر النوم والشبع. يقول:

يا طالبَ العلمِ بادِرِ الْوَرَعَا
وهاجِرِ النَّوْمَ وَاهْجُرِ الشَّبَعَا
يا أيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ عُشْبُ
يَحْصَدُهُ المَوْتُ كُلَّمَا طَلَعَا^(٣)

* * *

(فلم يبق للأيام كهل ولا فتى)

ومن رائع شعر الزهد الذي جادت به قريحة ابن المبارك،
قوله:

أَلَا قِفْ بِدارِ المترفين وَقُلْ لَهُمْ
أَلَا أَيْنَ أربابُ المدائنِ وَالْقُرَى

(٣) شعر الزهد ص ١١٠.

(١) المرجع نفسه ص ٩٢.

وَأَيْنَ الْمُلُوكُ النَّاعِمُونَ بِغَبِطَةٍ
وَمَنْ عَانَقَ الْبَيْضَ الرَّعَائِبَ كَالْدُمَى
فَلَوْ نَطَقَتْ دَارٌ لَقَالَتْ دِيَارُهُمْ
لَكَ الْخَيْرُ صَارُوا لِلتُّرَابِ وَلِلْبَلَى
وَأَفْنَاهُمْ كَرُّ النَّهَارِ وَلَيْلِهِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا يَامٌ كَهْلٌ وَلَا فَتَى^(١)

* * *

(فطويبي لعبد شغله بك دائماً)

ومن الشعر الزهدي المنسوب إلى عبد الله بن المبارك،
ويغلب عليه طابع التصوف، قوله:

وَكُلُّ اجْتِهَادٍ فِي سِوَاكَ مُضِيْعٌ
وَكُلُّ كَلَامٍ لَا يَذْكُرُكَ آفَاتُ
وَكُلُّ اشْتِغَالٍ لَا يُحْيِيكَ بَاطِلُ
وَكُلُّ سَمَاعٍ لَا لِقَوْلِكَ زَلَّاتُ
وَكُلُّ اجْتِمَاعٍ لَا إِلَيْكَ ضَلَالَةٌ
وَجَدُّ وَسْعِي لَا إِلَيْكَ بَطَالَاتُ
وَكُلُّ وَقُوفٍ لَا لِبَابِكَ خَيْبَةٌ
وَكُلُّ عَكُوفٍ لَا إِلَيْكَ جُنَايَاتُ

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية، ص ٣١٣. ج ١. مجلد ٢٨.
١٩٨٤ م. والرعايب، جمع رعبوبة، وهي الشابة الناعمة.

وكلّ رجاءٍ دونَ فضلكَ آيسٌ
 وكلُّ حديثٍ عن سواكَ خطيئات
 وأنتَ حراءُ الحبِّ والغيرُ باطلُ
 فطوبى لعبدٍ ناله منك أوقات
 فيا ويلَ قلبٍ لم تكن فيه ساكناً
 ويا فوزَ قلبٍ فيه منك مودّات
 فطوبى لعبدٍ شغله بك دائماً
 كحالٍ مُحِبٍّ أدركته العنايات
 وسحقاً لمطروِدٍ عن البابِ مبعداً
 وليس له إلاّ التّشاغلُ هَمّات
 على نفسه فليّك مَنْ فاتهُ الهدى
 وليس له عزمٌ إليك ونيّات^(١)

* * *

(إن السفينة لا تجري على اليبس)

وئمة بيتان من الشعر الزهدي، يتّسمان بالرقّة، وينسبان إلى
 ابن المبارك، وهما التاليان:

ما بال دينك ترض أن تُدَنِّسَهُ
 وثوبك الدّهر مغسولٌ مِنَ الدَّنَسِ

(١) المرجع نفسه ص ٣٢٠ - ٣٢١.

ترجو النجاة ولم تسلك طريقها
إنَّ السَّفينةَ لا تجري على اليبسِ^(١)

* * *

ريحانة

(من كان راكب يوم)

ومن شواعر الحكمة والزهد، والتصوف، تلك المعروفة
باسم ريحانة، وكان لقيها إبراهيم بن الأدهم، الصوفي
المعروف، فذاكرها شيئاً من أمر الآخرة فأنشأت تقول:

مَنْ كَانَ رَاكِبَ يَوْمٍ لَيْسَ يَأْمَنُهُ
وليلة تائهاً في عقبِ دنياه
فكيف يلتذ عيشاً لا يطيبُ له
وكيف تعرفُ طعمَ الغمضِ عيناها^(٢)

* * *

ميمونة

(دنيا غرارات)

ومنهن أيضاً، تلك المسماة ميمونة السوداء، التي لقيها

(١) المرجع نفسه ص ٣١٨.

(٢) شعر الزهد ص ١٨٧.

عبد الله بن المبارك، فطلب أن تعظه، فقالت:

دُنْيَا غَرَارَاتٍ فَذَرُهَا
فِيَّانَهَا مَرْكَبٌ جَمُوحٌ
دُونَ بَلُوغِ الْجَهْلُولِ مِنْهَا
مَنْيَةٌ نَفْسِهِ تَطُوحُ
لَا تَرْكَبُ الشَّرَّ فَاجْتَنِبْهُ
فِيَّانَهُ فَاحِشٌ قَبِيحٌ
وَالْخَيْرُ فَاقْدَمُ عَلَيْهِ جَهْرًا
فِيَّانَهُ وَاسِعٌ فَسِيحٌ^(١)

* * *

(كذلك من مسكنه القبر)

ومن رائع شعرها الزهدي قولها:

وَلَيْسَ لِمَيِّتٍ فِي قَبْرِهِ
فِطْرٌ وَلَا أَضْحَى وَلَا عَشْرٌ
بَاتَ مِنَ الْأَهْلِ عَلَى قُرْبِهِ
كَذَاكَ مَنْ مَسْكَنَهُ الْقَبْرُ^(٢)

* * *

(١) نفسه ١٩١ .

(٢) نفسه ١٩٣ .

الغزال

(يرمي التراب ويحثوه على خدي)

ومن جيد ما قال الغزال في الشعر الزهدي :

أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ مَجْهُوداً عَلَى مَلَلٍ
مِنَ الْحَيَاةِ فَصَبْرِي غَيْرُ مُمْتَدٍّ
وَمَا أَفَارِقُ يَوْماً مَنْ أَفَارِقُهُ
إِلَّا حَسِبْتُ فِرَاقِي آخِرَ الْعَهْدِ
أَنْظُرْ إِلَيَّ إِذَا أُدْرِجْتُ فِي كَفْنِي
وَانْظُرْ إِلَيَّ إِذَا أُدْرِجْتُ فِي لَحْدِي
وَأَقْعُدْ قَلِيلاً وَعَايِنْ مَنْ يُقِيمُ مَعِي
مِمَّنْ يُشَيِّعُ نَعْشِي مِنْ ذَوِي وَدِّي
هِيَ هَاتِ كُلَّهُمْ فِي شَأْنِهِ لَعَبٌ
يَرْمِي التَّرَابَ وَيَحْثُوهُ عَلَى خَدِّي^(١)

* * *

البهلول (ت ١٩٠ هـ)

(وفي العيش فلا تطمع)

ثمة اسم من أسماء المجانين ، لمع في عهد الرشيد ،

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥ .

الخليفة العباسي، وما كان مجنوناً، لكنه تظاهر بذلك تقيّةً، وإن كان به جنون حقاً، فهو جنون الحبّ الإلهي، وشدة مخافته الله سبحانه وتعالى، فلا عجب أن نجد كلام هذا المجنون، بهلول بن عمرو، وكنيته أبو وهيب الصيرفي الكوفي.. أقول لا عجب أن نجد في كلام أبي وهيب، وفي شعره خاصة، الكثير من المعاني الحكمية والزهدية القائمة على الوعظ والإرشاد، والاكتفاء بالقليل من المتاع، وإن من هذا الشعر، على سبيل المثال، قوله:

دَعِ الْجِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا
وَفِي الْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعُ
وَلَا تَجْمَعُ مِنَ الْمَالِ
فَلَا تَذْهَبُ لِمَنْ تَجْمَعُ
فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ
وَسُوءُ الظَّنِّ لَا يَنْفَعُ
فَقِيرٌ كُلُّ ذِي حِرْصٍ
غَنِيٌّ كُلُّ مَنْ يَقْنَعُ^(١)

* * *

(١) شعر الزهد ١٧٨ - ١٧٩. وينسب هذا الشعر لأبي نواس أيضاً. أنظر المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

(ويحشو التُّرْبَ هذا ثم هذا)

ومن جيد قوله الزهدي، وبليغ معناه، ما قاله مخاطباً
الرشيد:

وَهَبْ أَنْ قَدْ مَلَكَتِ الْأَرْضَ طُرّاً
ودانَ لَكَ الْبِلَادُ فَكَانَ مَاذَا
أَلَيْسَ غَدًا مَصِيرُكَ جَوْفَ تُرْبٍ
ويحشو التُّرْبَ هذا ثم هذا^(١)

* * *

(تقول لله ماذا حين تلقاه)

ومن أشعاره الزهدية قوله:

يَا مَنْ تَمَتَّعَ بِالْدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
وَلَا تَنَامُ عَنِ اللَّذَّاتِ عَيْنَاهُ
شَغَلَتْ نَفْسَكَ فِي مَا لَسْتَ تَذْكُرُهُ
تَقُولُ لِلَّهِ مَاذَا حِينَ تَلْقَاهُ^(٢)

* * *

(١) نفسه ص ١٧٩ . ودان: خضع وذلّ. ويحشو: يلقي ويهيل.

(٢) نفسه ص ١٧٩ .

لَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ تَدْبِيرُ
بَلِ اللّٰهُ الْمُدَبِّرُ^(١)

* * *

(يا سواتي فما اكتسبت)

ومن بديع شعر أبي نواس الزهدي، ما قاله وقد تصور نفسه
مسجى على فراش الموت، تقلّبه الأيدي، ثم هو يغسل
ويحنّط ويكفن، ثم يحمل على سرير الموت، ثم يبعث يوم
القيامة، وقد فرّط في حق الله أيّما تفريط. يقول النواسي نادماً
ومناجياً نفسه، وهو من رائع الشعر السهل الممتنع:

يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتَ عَلَى
ظَهْرِ السَّرِيرِ وَأَنْتَ لَا تَذْرِي
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتَ إِذَا
غُسِّلْتَ بِالْكَافُورِ وَالسِّدْرِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتَ إِذَا
وُضِعَ الْحَسَابُ صَبِيحَةَ الْحَشْرِ
مَا حُجِّتِي فِي مَا أَتَيْتُ وَمَا
قَوْلِي لِرَبِّي بَلْ وَمَا عُذْرِي

(١) ديوان أبي نواس. ص ٦٢٠. تحقيق أحمد الغزالي. دار الكتاب العربي
بيروت.

أبو نواس (ت ١٩٨ هـ / ٨١٠ م)

(يا نواسي تفكر)

من أعجب العجب في شعر أبي نواس، الشاعر اللاهني والماجن، والفاثك، وزعيم الخمرة في الشعر العربي، أن نجد فيه نمطاً آخر يحاكي به كبار شعراء الزهد والموعظة والتوبة النصوح إلى الله. ونحن أمام هذه النماذج الرقيقة البالغة الروعة من زهديات أبي نواس، لا يسعنا إلا أن نصدق توبته، فنذوب إعجاباً بهذا الشعر الزهدي البالغ الجودة، ومنه قوله مناجياً:

يا نواسي تفكر
وتجمل وتصبّر
سأءك الدهر بشيء
ولما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله
من ذنبك أكبر
أكبر الأشياء عن
أصغر عفو الله أكبر
ليس للإنسان إلا
ما قضى الله وقدر

يَا سَوَاتِي مِمَّا اكْتَسَبْتُ وَيَا
أَسْفَى عَلَى مَا فَاتَ مِنْ عَمْرِي^(١)

* * *

(كَأَنَّكَ لَا تَظُنُّ الْمَوْتَ حَقًّا)

ومن رائع زهديات أبي نواس، قوله المتضمن بديع
الحكمة، ولطيف المعنى، ورفيع الأدب التوجيهي، والإرشاد
الديني، وكأنما هو ليس أبا نواس الذي نعرف، زندقة ومجوناً
وتهتكاً. يقول أبو نواس:

أَخِي مَا بِأَلْ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى
كَأَنَّكَ لَا تَظُنُّ الْمَوْتَ حَقًّا
أَلَا يَا ابْنَ الدِّينِ فَنُوا وَبَادُوا
أَمَّا وَاللَّهِ مَا بَادُوا لِتَبْقَى
وَمَا لَكَ فَاعْلَمَنْ فِيهَا مَقَامٌ
إِذَا اسْتَكْمَلْتَ آجَالاً وَرِزْقاً
وَمَا لَكَ غَيْرَ مَا قَدَّمْتَ زَادٌ
إِذَا جُعِلْتَ إِلَى اللَّهْوَاتِ تَرْقَى

(١) المصدر نفسه، ص ٦١٠. والسرير: النعش. والسدر: الحنوط يحنط به
الميت. والحشر: يوم البعث.

وما أحدٌ بِزادِكَ مِنْكَ أَحْظَى
وما أحدٌ بِذَنْبِكَ مِنْكَ أَشْقَى^(١)

* * *

(يا سائل الله فزت بالظفر)

وإن من هذا الشعر الزهدي الوجداني الرائع قوله، وهو
يفيض حكمة وموعظة وإيماناً:

يا سائلَ اللَّهِ فُزْتَ بِالظَّفَرِ
وَبِالنَّوَالِ الْهَنِيِّ لَا الْكَدِيرِ
فَارْغَبْ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى بَشَرٍ
مَنْتَقِلٍ فِي الْبَلَى وَفِي الْغَيْرِ
وَارْغَبْ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى جَسَدٍ
مَنْتَقِلٍ مِنْ صَبَاً إِلَى كَبَرٍ
إِنَّ الَّذِي لَا يُخَيِّبُ سَائِلَهُ
جَوْهَرُهُ غَيْرُ جَوْهَرِ الْبَشَرِ
مَالِكَ بِالتُّرْهَاتِ مَشْتَغِلاً
أَفِي يَدَيْكَ الْأَمَانُ مِنْ سَقَرِ^(٢)

(١) شعر الزهد ص ٢٩٥ . وبادوا: فنوا. واللهوات، جمع لهاة ، وهي في
أعلى الحلق. وهنا إشارة إلى نزاع الروح ساعة الموت.

(٢) نفسه ص ٢٩٨ . وسقر: النار. والترهات: سفاسف الأمور التافهة.
والغير: الأحداث والخطوب. والظفر: الفوز.

(وَأَرَانِي أَمُوتُ عَضُوءاً فَعَضُوءاً)

ومن زهديات أبي نواس، وفيها ذكر لأهوال الموت والاحتضار، متأسفاً على ما فات من عمره في معصية الله تعالى، قوله:

شَاعَ فِيَّ الْفَنَاءُ عُلُوءاً وَسُفْلاً
وَأَرَانِي أَمُوتُ عَضُوءاً فَعَضُوءاً
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي
وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضُوءاً^(١)

* * *

(وَفِي الْعِيشِ فَلَا تَطْمَعُ)

ومن رائع زهد أبي نواس قوله:

دَعِ الْحَرَصَ عَلَى الدُّنْيَا
وَفِي الْعِيشِ فَلَا تَطْمَعُ
وَلَا تَجْمَعُ لَكَ الْمَالَ
فَمَا تَدْرِي لِمَنْ تَجْمَعُ
وَلَا تَدْرِي أَفِي أَرْضِكَ
أَمْ فِي غَيْرِهَا تَضُرَعُ^(٢)

(١) البيان والتبيين ٤٧٧/٣. والنضوء: المهزول والمجهود.

(٢) المحاسن والأضداد، للجاحظ، ص ١٠٢. دار صعب. بيروت ١٩٦٩ م.

(لله در الشيب من واعظ)

ومن شعر أبي نواس الحكمي الزهدي قوله، وهو من بليغ
القول وأعمقه:

أَيَّةُ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ
وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ
لِلَّهِ دُرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظٍ
وَنَاصِحٍ لَوْ حَظِيَ النَّاصِحُ
يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا اتَّبَعَ الْهَوَى
وَمِنْهُمْ جُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحُ
فَاسْمُ بَعَيْنَيْكَ إِلَى نَسْوَةٍ
مَهُورُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ
لَا يَجْتَلِي الْعِذْرَاءُ مِنْ خِدْرِهَا
إِلَّا أَمْرُو مِيزَانُهُ رَاجِحُ
مَنْ اتَّقَى اللَّهَ فَذَاكَ الَّذِي
سَيَقُ إِلَيْهِ الْمَتَجَرُّ الرَّابِحُ^(١)

* * *

(وبتقواه تمسك)

ومن شعره الزهدي السهل الممتنع قوله:

(١) البيان والتبيين ٤٨٥/٣ .

كُنْ مَعَ اللَّهِ يَكُنْ لَكَ
 وَاتَّقِ اللَّهَ لَعَلَّكَ
 لَا تَكُنْ إِلَّا مَعِدًّا
 لِمُنَايَا فَكَأَنَّكَ
 إِنَّ لِمَوْتٍ لَسَهْمًا
 وَقَعًا دُونَكَ أَوْيِكَ
 نَحْنُ نَجْرِي فِي أَفَانِينَ
 سُكُونٍ وَتَحْرُكٍ
 فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ
 وَيَتَّقُواهُ تَمَسَّكَ^(١)

* * *

(لَبَّيْكَ قَدْ لَبِيتُ لَكَ)

وما أرق هذه التلبية الشعرية الرقيقة التي لا تقال إلا في
 موسم الحج ، ولا تصدر إلا عن نفس شَفَّها الحزن والندم على
 المعصية ؛ يقول أبو نواس ، من شعر ينضح بالتوبة والغفران :

إِلَهَنَا مَا أَعْدَلَكَ
 مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكَ

(١) المصدر نفسه ٤٨٥/٣ .

لَبَّيْكَ قَدْ لَبَّيْتُ لَكَ
 لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ
 وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ
 مَا خَابَ عَبْدٌ أَمْلَكَ
 أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكَ
 لَوْلَاكَ يَا رَبُّ هَلْكَ
 لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ
 وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ
 كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلِكٍ
 وَكُلُّ مَنْ أَهْلٌ لَكَ
 وَكُلُّ عَبْدٍ سَأَلَكَ
 سَبَّحَ أَوْ لَبَّى مَلِكٍ
 لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ
 وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ
 يَا خَاطِئاً مَا أَغْفَلَكَ
 إِعْمَلْ وَبَادِرْ أَجَلَكَ
 وَاخْتُمْ بِخَيْرِ عَمَلِكَ
 لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ
 وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ

* * *

(سبحان علام الغيوب)

ومن أروع ما قاله أبو نواس في التوبة والزهد والانقطاع إلى
الله والندامة على الذنب، قوله مناجياً النفس:

سبحانَ علامِ الغُيوبِ
عجباً لِتَضْرِيفِ الخطوبِ
تغدو على قطفِ النفوسِ
وتجتني ثمرَ القلوبِ
يا نفسُ توبي قبلَ أنْ
لا تستطيعي أنْ تتوبي
وَاسْتَغْفِرِي لِذُنُوبِكِ
الرَّحْمَنَ غَفَّارَ الذُّنُوبِ
إنَّ الحوادثَ كالرياحِ
عليك دائمةُ الهبوبِ
والموتُ شرعٌ واحدٌ
والخلقُ مختلفو الضروبِ
والسَّعْيُ في طلبِ التُّقى
مِنْ خَيْرِ مكسبةِ الكُسوبِ
ولقَلْما ينجو الفتى
بتقاءٍ مِنْ لَطخِ العيوبِ^(١)

(١) الديوان ص ١٠٠ .

علي الرضا (ت ٢٠٢ هـ)

(واشكر لمولايك على نعمته)

ومن الأدب الوعظي، ذي النفحة الإيمانية الزهدية، ما ينسب إلى الإمام علي بن موسى الرضا (ع). يقول علي مزهداً بالدنيا، محذراً من زخرفها، حاثاً على التمسك بالخير والصبر، والتعلق بأهداب الفضيلة والتقوى:

لا تحرصنْ فالحرصُ يُزري بالفتى
ويُذهبُ الرُّونقَ عن بهجته
والحظ لا تجلبُهُ حيلةُ
كيف يخافُ المرءُ من فقرته
ما فاتك اليومَ سيأتي غداً
ما في الذي قُدِّرَ من حيلته
والرزقُ مضمونٌ على واحدٍ
مفاتحُ الأشياءِ في قبضته
قد يُرزقُ العاجزُ معَ عجزه
ويُحرَمُ الكيسُ معَ فطنته
لا تنهرِ المسكينَ يوماً أتى
فقد نهاك اللهُ عن نهركه

إِنْ عَضَّكَ الدَّهْرُ فَكُنْ صَابِرًا
 عَلَى الَّذِي فَاتَكَ مِنْ عَضَّتِهِ
 أَوْ مَسَّكَ الضَّرُّ فَلَا تَشْتَكِي
 إِلَّا لِمَنْ تَطْمَعُ فِي رَحْمَتِهِ
 وَأَقْنَعُ بِمَا أَعْطَاكَ مِنْ فَضْلِهِ
 وَاشْكُرْ لِمَوْلَاكَ عَلَى نِعْمَتِهِ^(١)

* * *

صوت

(وإنَّ امرئاً)

ومما حدث به الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء
 يقول: بينا أنا أدور في بعض البراري، إذا أنا بصوت يقول:
 . . . ولما سأل عن الصوت أصوت إنسي أم جني؟ لم يجبه،
 فنقش الشعر على خاتمه. والصوت الذي سمعه هو التالي:

وإنَّ امرأً دُنِيَاهُ أَكْثَرُ هِمِّهِ
 لَمْسْتَمِسِكَ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورٍ^(٢)

(١) جواهر الأدب. ص ٤٣٢. والمولى: السيد. ومسك: أصابك. وعضك
 الدهر: أزرى بك وأساءك. وتنهر: تزجر. والكيس: العاقل الذكي.
 والفقرة، واحدة الفقر، مصدر النوع. أو المرة. والرونق: ماء الشباب
 ونضارته.

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

أبو العتاهية (ت ٢١١ هـ / ٨٢٦ م)

(لا فخر إلا فخر أهل التقى)

من أشهر شعراء الزهد والحكمة في الأدب العربي، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي المعروف بأبي العتاهية، وهو أحد أبرز شعراء العصر العباسي، انقطع إلى الزهد في أواخر حياته، وأكثر من ذكر القبر واللحد، وذكر الموت، والبعث والوعد والوعيد. ومن رائع شعره الزهدي الحكمي قوله متعجباً، ومنبهاً، ومحذراً من الغفلة والفخر والكبرياء، وشعره من أسهل الشعر، وأوضحه معنى ودلالة، وأقربه تناولاً:

يا عجباً للناس لو فكروا
وحاسبوا أنفُسَهُمْ أبصروا
وعبروا الدُّنيا إلى غيرها
فإنَّها الدُّنيا لهم مَعْبَر
الخيرُ ممَّا ليسَ يَخْفَى هو
المعروفُ والشَّرُّ هو المُنْكَر
والموعِدُ الموتُ وما بعدهُ
الحشرُ فذاك الموعِدُ الأكبر
لا فخرَ إلا فخرُ أهلِ التَّقَى
غداً إذا ضُمَّهُمْ المَحْشَرُ

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التُّقَى
 وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخِرُ
 عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ
 وَهُوَ غَدَاً فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
 مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ
 وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
 أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا
 يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ
 وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِهِ
 فِي كُلِّ مَا يَقْضَى وَمَا يُقَدَّرُ^(١)

* * *

(يدعوك ربك عنده فتجيب)

ويعجب أبو العتاهية للذين يشغلون بإحصاء العيوب على
 الناس، وهم غافلون عن عيوبهم، وعن الموت الذي لا محالة
 هو آتٍ. يقول أبو العتاهية:

يَا مَنْ يَعِيبُ وَعَيْبُهُ مُتَشَعِّبُ
 كَمْ فِيكَ مِنْ عَيْبٍ وَأَنْتَ تَعِيبُ

(١) الكامل في اللغة ٢٣٩/١. ويؤخر: يحفظ ذخراً. وانظر: الديوان ١٥١ -

لِلَّهِ دِرُّكَ كَيْفَ أَنْتَ وَغَايَةُ
يَدْعُوكَ رَبُّكَ عِنْدَهُ فَتُجِيبُ^(١)

* * *

(كلنا يكثر الملامة)

ومن بديع قوله في وصف الدنيا:

كُلُّنَا يُكْثِرُ الْمَلَامَةَ لِلدُّنْيَا
وَكُلُّ يَحِبُّهَا مَفْتُونُ
وَالْمَقَادِيرُ لَا تَنَاوِلُهَا الْأَوْهَامُ
لُطْفًا وَلَا تَرَاهَا الْعَيُونُ
وَيَمُرُّ الْفَتَى وَفِي كُلِّ يَوْمٍ
حَرَكَاتٌ كَأَنَّهُنَّ سَكُونُ^(٢)

* * *

(والفقر عين الفقر في الأموال)

ومن جيد الشعر الزهدي، وأرقه، لأبي العتاهية، قوله
مخاطباً الدنيا، داعياً إلى الأخذ بالبساطة، والرضا بالقناعة
والكفاف:

(١) نفسه ٢٣٨/١.

(٢) العقد الفريد ٣١٢/١.

ما أنتِ يا دُنْيَا بِدارِ إقامةٍ
 ما زلتِ يا دُنْيَا كَفِيءِ ظلالِ
 غرسَ التَّخَلُّصِ منكِ بينَ جوانحي
 شجرَ القنَاعَةِ والقنَاعَةِ مَالِي
 لَمَّا حَصَلْتُ عَلَى القنَاعَةِ لم أزلْ
 مِلْكَأَ يرى الإكْثَارَ كالإِقْلَالِ
 لَمَّا حَصَلْتُ عَلَى القنَاعَةِ لم أزلْ
 والفقرُ عَيْنَ الفقرِ فِي الأموالِ
 ما اُعْتَاَضَ باذِلُ وجهِهِ ولسانِهِ
 عِوَضاً وَلَوْ نَالَ الغِنَى بِسؤالِ^(١)

* * *

(حتى متى يستفزني الطمع)

وقريب من المعنى السابق قوله أيضاً:

حَتَّى مَتَى يَسْتَفِزُّنِي الطَّمَعُ
 أَلَيْسَ لِي بِالْكَفَافِ مُتَّسِعُ
 ما أَفْضَلَ الصَّبْرَ والقنَاعَةَ
 لِلنَّاسِ جَمِيعاً لو أَنَّهُم قَنِعُوا

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٣١١. دار صادر - دار بيروت، ١٩٦٥ م.

وأخدعَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لِأَقْوَامٍ
أَرَاهِمَ فِي الْغَيِّ قَدْ رَقَعُوا
لِلَّهِ دُرُّ الدُّنْيَا فَقَدْ لَعِبَتْ
قَبْلِي بِقَوْمٍ فَمَا تَرَى صَنَعُوا
وَكَانَ مَا قَدَّمُوا لِأَنْفُسِهِمْ
أَعْظَمَ نَفْعاً مِّنَ الَّذِي وَدَعُوا^(١)

* * *

(وعلى نفسه بغى كل باغ)

وقريب منه كذلك، قوله:

أَيُّ عَيْشٍ يَكُونُ أَبْلَغُ مِنْ عَيْشٍ
كَفَافٍ قَوْتٍ بِقَدْرِ الْبَلَاحِ
صَاحِبُ الْبَغْيِ لَيْسَ يَسْلُمُ مِنْهُ
وَعَلَى نَفْسِهِ بَغَى كُلُّ بَاغٍ
رُبَّ ذِي نِعْمَةٍ تَعَرَّضَ مِنْهَا
حَائِلٌ بَيْنَنَهُ وَبَيْنَ الْمَسَاغِ
أَبْلَغَ الدَّهْرِ فِي مَوَاعِظِهِ بَلْ
زَادَ فِيهِنَّ لِي عَلَى الْإِبْلَاحِ

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٠.

غَيَّبْتُني الأَيَّامُ عَقْلِي وَمَالِي
وَشَبَابِي وَصِحَّحْتِي وَفَرَاغِي^(١)

* * *

(وَابْتَغِينَا مِنَ الْمَعَاشِ فَضُولاً)

وَمَنْ جَدَّ زَهْدِيَّاتِ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ، قَوْلُهُ دَاعِياً إِلَى الْقَنَاعَةِ
وَالرِّضَى بِالْقَلِيلِ:

وَابْتَغَيْنَا مِنَ الْمَعَاشِ فَضُولاً
لَوْ قَنِعْنَا بِدُونِهَا لَأَكْتَفَيْنَا
وَلَعَمْرِي لَنَمُضِينَ وَلَا نَمُضِي بِشَيْءٍ
مِنْهَا إِذَا مَا مَضَيْنَا
عَجَباً لِأَمْرِي تَيَقَّنَ أَنَّ الْمَوْتَ
حَقٌّ فَقَرَّ بِالْعَيْشِ عَيْنَا^(٢)

* * *

(قَدْ أَوْرَثَتْ حَزناً طَوِيلاً)

وَدَعَا أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ إِلَى الْقَنَاعَةِ، وَالْاِكْتِفَاءِ مِنَ الدُّنْيَا
بِالْقَلِيلِ، تَسْتَدْعِي مِنْهُ ذَمَّ الْحِرْصِ وَالْجَشْعِ وَالطَّمَعِ وَالْبَخْلِ،
وَالْإِقْبَالَ عَلَى الدُّنْيَا، وَالْاِسْتِسْلَامَ لِلشَّهَوَاتِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ

(١) الأغاني ٣/ ١٤٥.

(٢) الديوان ص ٢٣١.

الصفات المذمومة التي تطيع محب الدنيا بطابعها المميز، ومن هذا الشعر المتضمن لما ذهبنا إليه، قوله:

الحرصُ داءٌ قد أضرَّ
بِمَنْ تَرى إِلَّا قليلاً
كم مِنْ عزيزٍ قد رأيتَ
الحرصَ صَيْرُهُ ذليلاً
فَتَجَنَّبِ الشَّهَوَاتِ واحْذَرْ
أَنْ تَكُونَ لها فتيلاً
فلربَّ شهوةٍ ساعةٍ
قد أورثت حُزناً طويلاً^(١)

* * *

(خليلي ما أكفى السير)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قوله:

طلبتُ الغنى في كلِّ وَجْهِ فلم أجِدْ
سبيلَ الغنى إِلَّا سبيلَ التعفُّفِ
خليلي ما أكفى السيرُ مِنَ الَّذي
نحاولُ إنْ كُنَّا بما كفى نكتفي^(٢)

(١) نفسه ص ١٨٩ .

(٢) الديوان ص ٢٤٠ .

(وأنت الدهر لا ترضى بحال)

وقوله الآخر:

متى تُمسي وتصبحُ مستريحاً
وأنت الدهر لا تَرْضَى بحالٍ
وقد يجري قليلُ المالِ مجرى
كثيرِ المالِ في سدِّ الخلالِ
إذا كانَ القليلُ يسدُّ فقري
ولم أجِدِ الكثيرَ فلا أُبالي^(١)

* * *

(يا خاطب الدنيا)

ومن رائق شعر أبي العتاهية الزهدي قوله يصف الدنيا
وغرورها:

يا خاطبَ الدُّنيا إلى نفسها
تَنَحَّ عَنْ خَاطِبَتِهَا تَسْلَمِ
إنَّ التي تَخْطُبُ غرَّارةً
سريعةً العرسِ مِنَ المَأْتَمِ^(٢)

* * *

(١) نفسه ٣٢٦.

(٢) البيان والتبيين ٤٧٦/٣.

(سبحان ذي الملكوت)

ومنه أيضاً، قوله مستفظعاً هول الموقف وفراق الحياة:

سبحانَ ذي الملكوتِ أيَّةُ ليلةٍ
مخضتُ بوجهِ صباحِ يومِ الموقفِ
لو أنَّ عيناً وهمَّتْها نفيُّها
ما في الفراقِ مُصَوِّراً لم تطرف^(١)

* * *

(ليس زاداً سوى التقى)

ومن أسهل زهدياته وأبلغها دلالة، قوله:

أُذِنَ حَيٍّ تَسْمَعِي
وَأَسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
عَشْتُ تَسْعِينَ حَجَّةً
ثُمَّ وَافَيْتُ مَضْجَعِي
أَنَا رَهْنٌ لِمَصْرَعِي
فَأَحْذِرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
لَيْسَ زَاداً سِوَى التَّقَى
فَاخْذِي مِنْهُ أَوْدَعِي^(٢)

(١) نفسه ٤٧٦/٣.

(٢) البيان والتبيين ٤٧٨/٣. وعي: الأمر من وعي، للمؤنث.

(آخر هذا كله الموت)

ومن النسق عينه ، قوله :

إِسْمَعُ فَقَدْ أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ
إِنْ لَمْ تُبَادِرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
نَلَّ كُلَّ مَا شِئْتَ وَعِشْ سَالِماً
آخِرُ هَذَا كُلِّهِ الْمَوْتُ

* * *

(والتفت الساق منه بالساق)

ومن شعره الزهدي ويبدو أثر القرآن الكريم فيه ، قوله :

لَوْ أَنَّ عَبْدًا لَهُ خَزَائِنُ مَا فِي
الْأَرْضِ مَا عَاشَ خَوْفَ إِمْلَاقٍ
يَا عَجَباً كُلُّنَا يَحِيدُ عَنِ
الْحَيْنِ وَكُلُّ لِحَيْنِهِ لَاقٍ
كَأَنَّ حَيًّا قَدْ قَامَ نَادِبُهُ
والتَفَّتِ السَّاقُ مِنْهُ بِالسَّاقِ
وَاسْتَلَّ مِنْهُ حَيَاتَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ
خَفِيًّا وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ

(١) المصدر نفسه ٤٧٨/٣ .

(٢) البيان والتبيين ٤٧٩/٣ . والإملاق: الفقر. والحين: المصير. والراق:

اسم الفاعل من رقا، إذا شفاه بالرقى .

(وما الموت إلا رحلة)

ومن أروع ما قال في الموت:

وما الموتُ إلا رحلةٌ غيرَ أنه
مِنَ المنزلِ الفاني إلى المنزلِ الباقي^(١)

* * *

(ونلعب والدهر لا يلعب)

ومن رائع الشعر الزهدي قول أبي العتاهية:

أَنلَهُو وَأَيَّامُنَا تَذْهَبُ
وَنَلْعَبُ وَالذَّهْرُ لَا يَلْعَبُ
أَيْلَهُو وَيَلْعَبُ مَنْ نَفْسُهُ
تَمُوتُ وَمَنْ بَيْتُهُ يَخْرُبُ
تَرَى صُورَ اللَّهِ مَسْمُوحَةً
وَلَكِنْ لَهَا رَوْنَقٌ مُذْهَبُ
سَيَصْدُقُ مَنْ مَاتَ فِي هَجْرِهِ
وَقَدْ كَانَ فِي وَصْلِهِ يَكْذِبُ^(٢)

* * *

(١) الإعجاز والإيجاز، للشعالبي، ص ١٦١. دار صعب. بيروت.

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٧. ج ١. مجلد ٣٠. ١٩٨٦ م
والرونق: الصفاء والحسن والجمال.

(فعاش المريض ومات الطبيب)

ومن رائع زهده قوله :

نعي عند ظلّ الشّباب المشيبُ
ونادتك بِاسمِ سواك الخطوبُ
فكنّ مستعدّاً لداعي المنونِ
فكلُّ الذي هو آتٍ قريبُ
وقبلك داوى الطّبيبُ المريضُ
فعاش المريضُ ومات الطّبيبُ^(١)

* * *

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن جيد شعره الزهدي قوله :

إنما الدُّنيا متاعٌ زائلٌ
فاقتصد فيه وخذ منه ودع
عجبٌ لِلدَّهرِ كم من أُممٍ
قد أباد الدهرُ والدهرُ جذعُ
يا أخا المَيِّتِ الذي شيعه
فحشا التّربَ عليه ورَجَعُ

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

لَيْتَ شَعْرِي مَا تَزَوَّدَتْ مِنْ
الزَّادِ فِيَا هَذَا لِيَوْمِ الْمَطَّلَعِ^(١)

* * *

(ورحى المنية تطحن)

وما أبلغ هذا البيت، على سهولته، يقول أبو العتاهية:

النَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ
وَرَحَى الْمَنِيَّةِ تَطْحَنُ^(٢)

* * *

محمود الوراق (ت حوالي ٢٣٠ هـ)

(وفي غنى النفس الغنى الأكبر)

ومن شعراء بني العباس الذين زهدوا في الحياة، ثم نسكوا
وتابوا إلى ربهم من بعد شقوة وفساد ولهو، محمود بن حسن
الوراق الذي وجد في الانقطاع إلى الله وعبادته، وفي القناعة
بما قسم له من الرزق، سعادة ما بعدها سعادة. يقول الوراق
مؤكدًا على مبدأ القناعة والرضى بقسم الله:

مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَلَمْ
يَقْنَعْ فِذَاكَ الْمَوْسِرُ الْمَعْسِرُ

(١) محلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٩. ج ١. مجلد ٣٠. ١٩٨٦ م.

(٢) العقد الفريد ١/٣٣١.

وكلُّ مَنْ كَانَ قَنوعاً وَإِنْ
كَانَ مُقِلّاً فَهُوَ الْمَكْثَرُ
الْفَقْرُ فِي النَّفْسِ وَفِيهَا الْغِنَى
وَفِي غِنَى النَّفْسِ الْغِنَى الْأَكْبَرُ^(١)

* * *

(هي الدنيا)

ويعجب الوراق للذين يؤملون الخير والفلاح في الحياة
الدنيا، فتراهم منصرفين إليها، يعملون لها بما أوتوا وهم عن
الآخرة غافلون، فيقول محذراً:

هِيَ الدُّنْيَا فَلَا يَغُرُّكَ مِنْهَا
مَخَايِلُ تَسْتَفِزُّ ذَوِي الْعُقُولِ
أَقْلُ قَلِيلِهَا يَكْفِيكَ مِنْهَا
وَلَكِنْ لَيْسَ تَصْنَعُ بِالْقَلِيلِ
تَشِيدُ بِهَا وَتَبْنِي كُلَّ يَوْمٍ
وَأَنْتَ عَلَى التَّجَهُُّزِ وَالرَّحِيلِ
وَمَنْ هَذَا الَّذِي يُبْقِي عَلَيْهَا
مُضَارِبَهُ بِمُذَرَّجَةِ السَّهُولِ^(٢)

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٠٧.

(٢) شعر الزهد ص ٢٣٦. والمخايل: الظنون والدلائل، جمع مخيلة،
وتستفز: تثير. ومضاربه: منزله، ومكان ضربه وإقامته ورحيله.

(كأنها لا ترى ما يصنع القدر)

وينظر الوراق بعين البصيرة إلى ما تفعله الأيام بالناس، وما
تتصرف به الأقدار فيخلص إلى القول الحكمي الزهدي:
لا ينفعُ الجِدُّ والتَّشْمِيرُ والحذرُ
خُطُّ الكتابِ فلا ورْدٌ ولا صَدْرُ
تستعجلُ النفسُ آمالاً لتبلغها
كأنها لا ترى ما يصنعُ القدر^(١)

* * *

(كذاك انتقال الدول)

حتى إذا ما أيقن الوراق بدنو الأجل، وفوت الأوان، وما
تحدثه الأيام بصروفها قال باكياً:

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجَلِ
وبعد فواتِ الأملِ
وواقِدِ شَيْبِ طَرا
بعقبِ شَبَابِ رحلِ
شَبَابٌ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ
وَشَيْبٌ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ

(١) شعر الزهد، ص ٢٣٩. والتشمير: النهوض والتهيؤ.

طواكَ بشيرُ البقا
وجاء نذيرُ الأجل
طوى صاحبُ صاحباً
كذاك انتقالُ الدُّول^(١)

* * *

(يا ناظراً)

ومن رقيق شعر الوراق في الزهد، قوله محذراً من هول
الذنب:

يا ناظراً يرنو بعيني راقداً
ومشاهداً للأمر غير مشاهد
منيت نفسك ضلّةً وأباحتها
طرق الرجاء وهنّ غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي
درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدمأ
منها إلى الدنيا بذنب واحد^(٢)

(١) عيون الأخبار ٢/٣٢٦.

(٢) الكامل ١/٢٣٥. ويرنو: ينظر. وضلة: توهمأ. والدرك: الإدراك
والوصول.

(أليس عجباً)

ومن جيد شعره، وهو في غاية السهولة، قوله:

أَلَيْسَ عَجَباً بَأَنَّ الْفَتَى
يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
فَمِنْ بَيْنِ بَاكِ لَهُ مَوْجِعٌ
وَبَيْنَ مُعَزِّ مُغِذٍ إِلَيْهِ
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شَرْخَ الشَّبَابِ
فَلَيْسَ يُعَزِّيه خَلْقٌ عَلَيْهِ^(١)

* * *

الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)

(فلست أول مجنون بمرزوق)

من الفقهاء الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا، ومن أجدر بهذه الدعوة من الفقهاء، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب الفقهي المعروف باسمه، فهو يزري على أصحاب المال جمعهم للمال في ما هم يقضون العمر، سادرين عن تقوى الله، مشغولين بجمعه وتحصيله، وفي الغالب فإن أصحابه من الجهلة ممن لا نصيب لهم من العقل

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٨٤.

أو العلم أو الخلق القويم. يقول الشافعي، وشعره يتميز
بالسهولة والوضوح.

لو كنت بالعقل تُعطي ما تريدُ بهِ
لما ظفرتُ من الدُّنيا بِمسروقِ
رُزقتُ مالاً على جهلٍ فعشتُ بهِ
فلستُ أوّلُ مجنونٍ بِمرزوقِ^(١)

* * *

(ويأبى الله إلا ما أرادا)

ويقول ثانية، في المعنى نفسه تقريباً:
يُريدُ المرءُ أن يُعطي مُناه
ويأبى الله إلا ما أرادا
يقولُ المرءُ فائدتي ومالي
وتَقوى الله أفضلُ ما استفاد^(٢)

* * *

(ولا عرفوا لمكرمة ثبوتاً)

ويقول ثالثة:

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. تحقيق زهدي يكن. دار الثقافة. بيروت
١٩٦١ م.

(٢) حلية الأولياء ١٥١/٩. للأصفهاني. دار الكتاب العربي، بيروت
١٩٦٧ م.

وأنطقت الدّراهمُ بعدَ صمتٍ
أناساً بعد ما كانوا سُكوتاً
فما عطفوا على أحدٍ بِفضلٍ
ولا عرفوا لمِكرمةٍ ثبوتاً^(١)

* * *

(قنعت بالقوت من زماني)

ومن الشعر الدال على قناعة الشفاعي وزهده في الحياة
الدنيا قوله :

قنعتُ بالقوتِ مِن زماني
وصننتُ نفسي عن الهوانِ
خوفاً منَ الناسِ أنْ يقولوا
فضلُ فلانٍ على فلانٍ
مَنْ كُنْتُ عن مالِهِ غنياً
فلا أبالي إذا جفاني^(٢)

* * *

(كم ضاحك)

ومن جيد شعر الشافعي ، قوله محذراً من يجعل همّه جمع

(١) المصدر نفسه ١٤١/٩ .

(٢) الديوان ص ١٦٢ .

المال، والانشغال بأمور الدنيا، دون التفكير بالآخرة، وبالموت الذي يحيط بنا جميعاً. يقول الشافعي :

كَمْ ضاحِكٍ والمنايا فوق هامته
لو كان يعلم غيباً مات من كَمَدٍ
مَنْ كان لم يُوتَ علماً في بقاء غدٍ
ماذا تفكره في رزقٍ بعد غدٍ^(١)

* * *

(وقد قسم الرحمن رزق الخلائق)

والذي عزز روح الزهد في نفس الشافعي، هو ثقته الكاملة بالله تعالى ذكره، فهو الرازق، والمقدر، والمفضل. يقول :

توكلتُ في رزقي على الله خالقي
وأيقنتُ أن الله لا شك رازقي
وما يك من رزقٍ فليس يفوتني
ولو كان في قاع البحار العوامق
ففي أي شيء تذهب النفس حسرةً
وقد قسم الرحمن رزق الخلائق^(٢)

* * *

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. والهامة: الرأس. والكمد: الغم.

(٢) نفسه ١٣٨.

منصور التميمي (ت ٣٠٦ هـ)

(وما كل نفس به راضية)

ومن الشعر الزهدي الذي يعتمد صاحبه فيه على التوكل،
والرضى بما يرزق الخالق، والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا،
ما قاله منصور بن إسماعيل التميمي، وكان من فقهاء الشافعية
بمصر. يقول منصور:

إذا قال لي قائلٌ كيفَ أنتَ
أقولُ له أنا في عافيةٍ
لأشياء منها الرضا بالكفافِ
وما كلُّ نفسٍ به راضيةٌ^(١)

* * *

(ألا إن رزق الله ليس يفوت)

وهو، أي منصور التميمي، يؤكد على ثقته الكبيرة بالله
تعالى، وعلى أنه هو المكفل بالأرزاق، فلا ييأسن أحد من
رحمته تعالى، ولا يستأثرن بمال يزيد عن حاجته. يقول
منصور:

ألا إن رزقَ الله ليس يفوتُ
فلا ترغن إن القليلَ يفوتُ

(١) بهجة المجالس، للقرطبي ٣٠٤/٢. دار الكتاب العربي. بيروت.

رضيتُ يقسمُ اللهَ حظاً لأنه
تكفلَ رزقي مَنْ له المَلَكُوتُ
سأقنعُ بالمالِ القليلِ لأنني
رأيتُ أخا المالِ الكثيرِ يموتُ^(١)

* * *

(إني قنعت بقوت)

ومن أصدق الشعر المعبر عن حالة الزهد، لدى منصور
التسمي، هذا الشعر السهل الذي يصور حال صاحبه أفضل
تصوير.

إني قنعتُ بِقوتِ
وُلُبْسِ ثَوْبٍ مُرَقَّعٍ
ولم يكنْ لي عيالٌ
نفسي لهمْ تتفجّع
ولا بنونَ صِغارٍ
قلبي لهمْ يتقطّع
ولا صديقَ مُصافٍ
فراقه أتوقّع

(١) نفسه ٣٠٤/٢. والملكوت: الملك الواسع.

وقد عزفتُ عن
اللَّهُوِ والغِنَى والتَّمَتُّعِ^(١)

* * *

(والوزر على مكتسبيه)

ويؤكد منصور التميمي المعنى نفسه فيقول، وهو من أسهل
الكلام، وأبسط العبارة:

مَنْ كَفَاهُ مِنْ مَسَاعِيهِ رَغِيْفٌ يَغْتَذِيهِ
وَلَهُ بَيْتٌ يُوَارِيهِ وَثُوبٌ يَكْتَسِيهِ
فَلَمَّا ذَا يَبْذُلُ الْعِرْضَ لِنَذْلٍ أَوْ سَفِيهِ
كُلُّ مَالٍ مَنَعْتُهُ السَّيْرَ أَيْدِي بَاذِلِيهِ
فَهُوَ لِلْوَارِثِ وَالْوَزْرُ عَلَى مَكْتَسِبِيهِ^(٢)

* * *

(فأمرك عندي عجيب عجيب)

ومن أعجب العجب في نظر منصور التميمي، أن يرى
الإنسان أن الموت آتٍ لا بد منه، وأن الذي يذهب لا يعود،
ومع ذلك فإن هذا الإنسان سادر في لهوه وغيه. يقول منصور:

(١) بهجة المجالس ٢/٢١١، وعزفت: ملت وانصرفت.

(٢) المصدر نفسه ٢/٣١٤.

إِذَا كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ الْفِرَاقَ
فِرَاقَ الْحَيَاةِ قَرِيبٌ قَرِيبٌ
وَأَنَّ الْمَقْدَمَ مَا لَا يَفُوتُ
عَلَى مَا يَفُوتُ مَصِيبٌ مَصِيبٌ
وَأَنْتَ عَلَى ذَاكَ لَا تَرْعَوِي
فَأَمْرُكَ عِنْدِي عَجِيبٌ عَجِيبٌ^(١)

* * *

أحمد بن يوسف (ت ٢١٣ هـ)

(ما هذه الدنيا بدار إقامة)

ومن الذين دعوا إلى ترك متاع الدنيا، والتزود بالعمل
الصالح، والعمل للآخرة، أحمد بن يوسف بن صبيح، وكان
مولى لبني عجيل، في العصر العباسي الأول؛ ومن شعره
الزهدي المتضمن لهذه المعاني قوله:

مَا بَعْدَ شَيْبِكَ غَيْرُ لَوْمِكَ فَاتَّخِذْ
زَادًا لِنَفْسِكَ فَالرَّحِيلُ قَرِيبٌ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ
لَا تَوَطِّنَنَّ بِهَا وَأَنْتَ غَرِيبٌ

(١) عيون الأخبار ٢/ ٣٠٤.

أَيْنَ الْأُولَى أَهْلُ السِّيَادَةِ وَالنُّهَى
وَالْمَطْعَمُونَ وَمَا تَدْرُ حَلُوبُ
أَخْنَى الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ بِشَعَارِهِ
وَسَقَتُهُمْ كَأْسَ الْمُنُونِ شَعُوبُ
وَعِدًّا جَزَاءُ سَعَادَةٍ أَوْ شَقْوَةٍ
أَفَلَا يُنِيبُ إِلَى الرَّشَادِ مُنِيبُ
وَالْمَوْتُ يَغْتَالُ النُّفُوسَ وَلَمْ يَزَلْ
لِلْمَوْتِ دَاعٍ لِلنُّفُوسِ طَلُوبُ^(١)
* * *

الخزيمي

(لكل أناس من طوارقها الشكل)

ومن أروع شعر الزهد الداعي إلى نبذ الدنيا والعمل
للاخرة، ما قاله أبو يعقوب إسحاق بن حسان، مولى بني
خريم، زمن العباسيين في العصر الأول؛ يقول الخزيمي:

تَزَوَّدَ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعاً لِغَيْرِهَا
فَقَدْ شَمَّرَتْ حَذَاءً وَأَنْصَرَمَ الْحَبْلُ

(١) أخبار الشعراء، للصولي ص ١٦٩. وشعوب: اسم للمنية. وينيب: يميل
ويثوب.

وهل أنت إلا هامة اليوم أو غدٍ
لكل أناسٍ من طوارقها الثكل^(٢)

* * *

(ولكن لهذا الرزق وقت موقت)

ويقول من شعر آخر يدخل في باب الزهد عن طريق التوكل
على الله تعالى ، والاعتماد عليه في الرزق المقدر:

ولكن لهذا الرزق وقت موقت
يُقَسِّمُهُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ وَاهْبُهُ
فليس بعجز المرء أخطاه الغنى
ولا باحتيال أدرك المال كاسبه^(٣)
* * *

أبو تمام (ت ٣٣١ هـ / ٨٤٥ م)

(وأنت غداً فيها تموت وتقبر)

ومن أروع الشعر الحكمي والزهدي معاً، ما قاله أبو تمام،
واسمه حبيب بن أوس الطائي، الشاعر العباسي النابه الذكر؛

(١) الشعر والشعراء، لابن قتيبة ٨٥٧/٢. وشمرت: نهضت. وحذاء: صارمة
وقاطعة. وانصرم: انقطع. والهامة: طائر: أسطوري يخرج من رأس
القتيل مطالباً بالثأر.

(٢) بهجة المجالس ١٤٥/١. والبرية: الخلق.

وقد غلب عليه التفكير بالحياة والموت، فخلص إلى أن العمر
قصير جداً، وأن الدهر يكد للإنسان، فلا مندوحة من العمل
الصالح، فلا يستحق العمل من أجله والسعي للآخرة قبل
فوات الأوان. يقول أبو تمام، وشعره من أجود الشعر،
وأفصحه، وأروعها:

أَلْعُمُرِ فِي الدُّنْيَا تَجِدُ وتَعْمُرُ
وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتُقْبَرُ
تَلْقَحُ آمَالًا وَتَرْجُو نِتَاجَهَا
وَعُمُرَكَ مِمَّا قَدْ تُرَجِّيهِ أَقْصَرُ
وَهَذَا صَبَاحُ الْيَوْمِ يَنْعَاكَ ضَوْؤُهُ
وَلَيْلَتُهُ تَنْعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ
تَحْسُومُ عَلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ كُفِّيَتْهُ
وَتَقْبَلُ بِالْآمَالِ فِيهِ وَتُدِيرُ
وَرِزْقَكَ لَا يَعْدُوكَ إِلَّا مُعَجَّلُ
عَلَى حَالِهِ يَوْمًا وَإِمَّا مُؤَخَّرُ
فَلَا تَأْمَنِ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ
عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتُدِيرُ
وَشِمْرُ فَقْدِ أَبَدَى لَكَ الْمَوْتُ وَجْهَهُ
وَلَيْسَ يَنَالُ الْفَوْزَ إِلَّا الْمَشْمَرُ

تذكّر وفكّر في الذي أنت صائرٌ
إليه غداً إن كنتَ ممّن يفكر
فلا بدّ يوماً أن تصيرَ لحفرةٍ
بأثنائها تطوى إلى يومٍ ينشرُ
تظهرُ وألحقْ ذنبك اليومَ توبةً
لعلّك منه إن تطهرتَ تطهر
فهذي الليالي مؤذّناتك باليلي
تروحُ وأيامُ كذاكَ تبكرُ
وأخلصُ لدينِ اللهِ صدراً ونيةً
فإنّ الذي تُخفيه يوماً سيظهر
وقد يسترُ الإنسانُ باللفظِ فعله
فيظهرُ عنه الطرفُ ما كان يستر
تأملْ وفكّر في الذي أنت صائرُ
إليه غداً إن كنتَ ممّن يفكر^(١)

* * *

(وأبقى صريعاً بين أهلي جنازةً)

ومن أروع شعر الزهد، وأجوده، وأفصحه عبارة، ما قاله أبو

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٤. وشمر: انهض ونهيا. وانظر أيضاً: معادن
الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤٢٠ - ٤٢١.

تمام ، وقد تصور نفسه ينازع سكرات الموت ، ثم ميتاً مسكنه
اللحد ، حيث الوحشة وطول الشتاء . يقول أبو تمام تائباً من
ذنبه ، نادماً على ما سوف من عمله :

أَلَمْ يَأْنِ تَرْكِي لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا
وعزمني على ما فيه إصلاحُ حالِيا
وقد نالَ مِنِّي الشَّيْبُ وابيضَ مفرقي
وغالتُ سوادي شُهْبُهُ في قذالِيا
أصَوْتُ بالدُّنْيَا وليستُ تُجِيبُنِي
أحاولُ أَنْ أبْقَى وكيفَ بقائِيا
وأبقى صريعاً بينَ أهلي جِنازةً
ويحوي ذُوو الميراثِ خالصَ مالِيا
أقولُ لِنَفْسِي حينَ مالتُ بِصَفْوِها
إلى خطراتٍ قد نتجَّنَ أمانِيا
هَبِيبِي مِنَ الدُّنْيَا ظَفَرْتُ بِكُلِّ ما
تَمَنَّيْتُ أو أُعْطِيتُ فوقَ أمانِيا
أليسَ الليالي غاصباتي بِمَهْجَتِي
كما غصبتُ قبلي القرون الخوالِيا
ومُسْكِنَتِي لحدّاً لدى حفرةٍ بها
يطولُ إلى أخرى الليالي ثوائِيا

أخافُ إلا هي ثم أرجو نواله
ولكنَّ خوفي قاهرٌ لِرَجائيا
على إثرِ ما قد كان مني صباةً
لياليَ فيها كنتُ لله عاصيا
فلئن جديرٌ أن أخافَ وأتقي
وإن كنتُ لم أشركُ بذي العرش ثانيا
وأدخر التقوى بمجهود طاقتي
وأركب في رُشدي خلاف هوائيا^(١)

* * *

ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م)

(تتجافى جنوبهم)

ومن جيد شعر الزهد، ما قاله أبو الحسن علي بن العباس،
الشاعر العباسي، والمعروف بابن الرومي. وشعره يتميز
بالسهولة وغلبة نزعة المنطق عليه، وهذا ما نلاحظه في أبياته
الزهدية التالية التي يصور بها حالات العابدين الزاهدين:

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٦. شرح التبريزي. دار المعارف ١٩٦٥ م. ويأن:
يحن. وغالت: صرعت. وشهبه، كناية عن الشيب، والقذال: ما بين
الرأس وأصل العنق. واللحد: جانب القبر. والصباة: الهوى والميل.

تتجافى جُنُوبُهُمْ
 عَنْ وَطِيءِ الْمَضَاجِعِ
 كُلُّهُمْ بَيْنَ خَائِفٍ
 مُسْتَجِيرٍ وَطَامِعٍ
 تَرَكَوا لَذَّةَ الْكَرَى
 لِلْعَيُونِ الْهَوَاجِعِ
 وَرَعَوْا أَنْجَمَ الدُّجَى
 طَالِعاً بَعْدَ طَالِعِ
 لَوْ تَرَاهُمْ إِذَا هُمْ
 خَطَرُوا بِالْأَصَابِعِ
 وَإِذَا هُمْ تَأَوَّهُوا
 عِنْدَ مَرِّ الْقَوَارِعِ
 وَإِذَا بَاشَرُوا الثَّرَى
 بِالْخُدُودِ الضُّوَارِعِ
 وَاسْتَهَلَّتْ عَيُونُهُمْ
 فَائِضَاتِ الْمَدَامِعِ^(١)

(١) ديوان ابن الرومي ١١٩/٤ . دار صادر بيروت ١٩٦٥ م وتتجافى : تتجنب .
 والمضاجع : أماكن النوم والإضطجاع . ومستجير : لائذ . طالب من
 يجيره . والكرى : النوم . والهواجع : جمع هاجعة ، وهي النائمة .
 والقوارع : الشدائد ، جمع قارعة ، وهي يوم القيامة . واستهلت : ابتدأت ،
 وسكبت .

(حتى متى نشترى الدنيا بآخرة)

وله من جيد الشعر، وهو يفيض حكمة وموعظة وزهداً،
قوله:

حتى متى نشتري الدنيا بآخرة
سفاهةً وبيعُ الفوق بالدون
معللين بآمالٍ تخادعنا
وزُخرفٍ من غرور العيش موصون^(١)
* * *

(فهل أنت عن غية مرتدع)

واستحسن من ابن الرومي قوله الزهدي:
ألا ليس شيبك بالمُنْتَزِعِ
فهل أنت عن غية مرتدع
وهل أنت تارك شكوى الزمان
إذا شئت تشكو إلى مستمع
فشيبُ أخي الشيبِ أمنيّة
إذا ما تناهى إليها هلع^(٢)
* * *

(١) شعر الزهد ص ٣٠٦.

(٢) رسالة الغفران، ص ٣٦.

ابن علوان (ت ٢٩١ هـ)

(رضيت بدون الكفاية قوتاً)

ومن الذين عزفوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة والتهجد،
أبو عقال بن علوان الذي ترك شعراً في الزهد يتميز بالبساطة
والعفوية والسهولة، يقول ابن علوان مؤكداً ما قلناه:

أَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ لَا تَعْصِهِ
فَقَدْ جَادَ بِالنَّصِيحِ جَهْرًا وَنَادَى
وَلَا تَلَّهْ بِالمَوْبِقَاتِ الَّتِي
أَبَادَتْ بِوَائِقُهَا مَنْ تَمَادَى
رَضِيتُ بِدُونِ الكَفَايَةِ قَوْتًا
وَبِاللَّهِ عَنْ كُلِّ خَلْقٍ عِمَادًا
فَأُضْحِى الْمُلُوكُ وَأَهْلُ النِّعَمِ
أَقْلَ الْبَرِيَّةِ عِنْدِي عِدَادًا
وَأَسْقَطْتُ لَوْحِي عَنِ الْعَالَمِينَ
فَمَنْ شَاءَ وَدَّ وَمَنْ شَاءَ عَادَى
فَلَمْ أَرْ عَيْشًا كَعَيْشِ الْقَنْوَعِ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْقَنْوَعِ مُرَادًا^(١)

(١) رياض النفوس ٤٢٨/١ . والبواثق: أحداثها ونكباتها.

(لعمرك ما الدنيا بشيء أريده)

وما أحسن ذمّه الدنيا ووصفه لها، إذ يقول:

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِشَيْءٍ أُرِيدُهُ
سِوَى أَنَّهَا نَزْلٌ وَأَنْتِي مَسَافِرُ
إِذَا أَقْبَلْتُ يَوْمًا عَلَيَّ بِوُدِّهَا
فَإِنِّي بِمَا تُؤَلِيهِ بِالْبَرِّ كَافِرُ^(١)

* * *

بكر بن حمّاد (ت ٢٩٦ هـ)

(كَأَنَّكَ قَدْ أَمَنْتَ مِنَ الْمَعَادِ)

ومن جيد شعر الزهد، وأرقه، وأصدقه، ما خاطب به
بكر بن حماد الزناتي، من تاهرت بالجزائر، نفسه. يقول بكر
متأسياً بأخبار الماضين الذين لم تدم لهم الحياة:

نَهَارٌ مَشْرِقٌ وَظِلَامٌ لَيْلٍ
أَلْحَا بِالْبَيَاضِ وَبِالسَّوَادِ
هُمَا هَذَا دَعَائِمَ عُمرِ نوحٍ
وَلِقَمَانٍ وَشَدَادٍ وَعَادِ
فِيَا بَكْرَ بْنَ حَمَّادٍ تَعَجَّبْ
لِقَوْمٍ سَافَرُوا مِنْ غَيْرِ زَادِ

(١) المصدر نفسه ٤٣٧/١.

تَبَيْتُ عَلَى فَرَاشِكَ مَطْمَئِنًا
كَأَنَّكَ قَدْ أَمِنْتَ مِنَ الْمَعَادِ^(١)

* * *

(فصفوها لك ممزوج بتكدير)

ومن شعر بكر بن حماد الزهدي الذي يصور فيه حرص
الناس على الحياة الدنيا، وقد فاتهم أن الرزق مقدر، وليس
للإنسان إلا ما هو في ظهر الغيب، قوله:

النَّاسُ حَرَصُوا عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ
فَصَفَّوْهَا لَكَ مَمْزُوجٌ بِتَكْدِيرِ
فَمِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا لَا تَسَاعُدُهُ
وَعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ
لَمْ يَدْرِكُوهَا بِعَقْلِ عِنْدَمَا قَسَمَتْ
وَأِنَّمَا أَدْرِكُوهَا بِالْمَقَادِيرِ
لَوْ كَانَ عَنْ قَدْرِ أَوْ عَنْ مَغَالِبَةٍ
طَارَ الْبُزَاةُ بِأَرْزَاقِ الْعَصَافِيرِ^(٢)

* * *

(١) شعر الزهد ص ١١٧ . وعاد وشداد، من أشداء العرب الأقدمين . ولقمان،
هو لقمان بن عاديا، الحكيم العربي القديم .
(٢) بهجة المجالس ١/ ١٤٣ . والبزاة، جمع باز، وهو من الطيور الكاسرة .

(فقولوا له يزداد في الطول والعرض)

وللتأكيد على ما ذهب عليه بكر في قوله السابق، يقول:

تبارك مَنْ ساسَ الأمورَ عباده
وذُلَّ لَهُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَنْ قَسَّمَ الْأَرْزَاقَ بَيْنَ عِبَادِهِ
وَفَضَّلَ بَعْضَ النَّاسِ فِيهَا عَلَى بَعْضٍ
فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْحَرَصَ فِيهَا يَزِيدُهُ
فقولوا له يزداد في الطول والعرض^(١)

* * *

بعضهم

(والدهر ذو فنون)

ومن بليغ القول في الزهد والتأسي بأخبار الماضين قول بعضهم:
ما لذة العيش والفتى للدهر والدهر ذو فنون
أهلك لسماً وقبل طسماً أهلك عاداً وذا جدون
وأهل جاسم ومأرب وحي لقمان والنقون
واليسر للعسر والغنى للفقر والحي للمنون^(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ٢٠٧/٣.

(٢) البيان والتبيين ١٠٠/١. وطسم وعاد من الأمم والقبائل الغابرة. وذا حدون، من ملوك اليمن.

ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

(أترضى بسبق المتقين إلى الله)

ومن الذين لهوا في حياتهم، وأسرفوا كثيراً في البذخ والترف والمجون، الخليفة العباسي الذي ولي الخلافة يوماً وليلة، ثم خلع، فقتل، عبد الله بن المعتز، الشاعر المتفنن، والعالم بالبديع.

عبد الله بن المعتز، هذا، ترك شعراً في الزهد والحكمة والتوبة، وهو على جانب كبير من الجودة والفصاحة وحرارة العاطفة، وصدق الوجدان. يقول ابن المعتز:

إلى أيّ حين كنت في صَبْوَةِ اللاهي
أما لك في شيءٍ وعِظْتَ به ناهي
ويا مذنباً يرجو من الله عَفْوَه
أترضى بسبق المتقين إلى الله^(٢)

* * *

(فعمر ك أيام تعدّ قلائل)

ويقول، من بوح وجداني صادق، وشعر رائق، ونلمس فيه التوبة والندامة والحسرة:

(١) الديوان ص ٤٥٣ . دار بيروت ١٩٦١ م.

نَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
 فَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَا حِلُّ
 وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّهُ
 إِذَا مَا تَخَطَّطَهُ الْأَمَانِيُّ بِاطِل
 وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
 فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَاعِل
 تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
 فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ^(١)

* * *

(والعمر في لا شيء يذهب)

ومن جيد شعره الزهدي المعبر، ويتميز بالسهولة، قوله:

جَدُّ الزَّمَانُ وَأَنْتَ تَلْعَبُ
 وَالْعَمْرُ فِي لَا شَيْءٍ يَذْهَبُ
 كَمْ قَدْ تَقُولُ غَدًا أَتُوبُ
 غَدًا غَدًا وَالْمَوْتُ يُقْرِبُ^(٢)

* * *

(١) المستطرف من كل فن مستطرف ص ٣١٣. دار الكتب العلمية، بيروت

١٩٨٣ م.

(٢) الديوان ص ٩٨.

(فليس يخطيء ما قد قدر الله)

ومن شعره الزهدي الرائع قوله :

مُسَهَّدٌ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ أَوَّاهُ
عَضَّتُهُ لِلدَّهْرِ أَنْيَابٌ وَأَفْوَاهُ
إِنْ كَانَ يُخْطِيءُ سَمْعِي مَا أَقْدَرُهُ
فَلَيْسَ يُخْطِيءُ مَا قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ^(١)

* * *

الألبيري (ت ٣١٢ هـ)

(وذي غنى)

ومن الذين دعوا إلى العزوف عن الغنى ، وجمع المال ،
والاكتفاء بالقليل من الزاد ، أبو جعفر أحمد بن عمرو ،
الأندلسي ، المعروف بالألبيري ، وكان محدثاً ومتفقهاً . يقول
في هذا المعنى ، مؤكداً على أن لا شيء يدوم أو يبقى على
حاله :

وَذِي غِنًى أَوْ هَمَّتْهُ هِمَّتُهُ
أَنَّ لِي غِنًى عَنْهُ غَيْرُ مَنْفَصِلٍ

(١) الأغاني ١٤١/٩ .

فَجَرَّ أَذْيَالَ عُجْبِهِ بَطْرًا
وَاخْتَالَ لِلْكَبْرِيَاءِ فِي حُلَلِ
بَرَّتْهُ أَيْدِي الْخُطُوبِ بَرِّيَّةً
فَاعْتَاضَ بَعْدَ الْجَدِيدِ بِالسَّمَلِ
كَفَى بِنَيْلِ الْكَفَافِ مِنْهُ غَنَى
عَنْهُ فَكُنْ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَفِلٍ^(١)

* * *

(يا عامر الدنيا)

ومن جيد شعره الزهدي ، قوله :

يَا عَامَرَ الدُّنْيَا لِتَسْكُنْهَا وَمَا
هِيَ بِأَلْتِي يَبْقَى لَهَا سُكَّانُ
تَغْنَى وَتَبْقَى الْأَرْضُ بَعْدَكَ مَا
يَبْقَى الْمَنَاخُ وَتَرْحَلُ الرُّكْبَانُ
أَسْرُ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَارَةٍ
وَزِيَارَتِي فِيهَا هِيَ النُّقْصَانُ^(٢)

* * *

سريح بن يوسف (ت ٢٣٥ هـ)

(فَاللَّهُ يَرْزُقُ لَا عَقْلَ وَلَا حِسْبَ)

ومن الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا ، وإلى عدم

(١) شعر الزهد ص ٩٧ . والسمل : البالي .

(٢) المرجع نفسه ص ١١٧ .

السعي وراء الرزق. بالكد، والكدح، سريح بن يوسف بن إبراهيم البغدادي، وكان من المحدثين. يقول سريح:

يا طالبَ الرِّزْقِ في الآفاقِ مجتهداً
أبقيتَ نفسَكَ حتى شَفَّكَ التَّعَبُ
تَسعى لِـرِزْقٍ كفاكَ اللهُ مُؤنَّتُهُ
أَقْصِرْ فرزقَكَ لا يأتي بهِ الطَّلَبُ
فاسْتَرْزِقِ اللهَ ممَّا في خزائنه
فاللهُ يرزُقُ لا عقلٌ ولا حَسَبُ^(١)

* * *

ابن بسام (ت ٣٠٣ هـ)

(والناس بعد الحادثات سماع)

ومن أرق شعر الزهد، وأصوبه ما قاله علي بن محمد بن منصور، الأندلسي، والمعروف بابن بسام إذ هو راعه الشيب، فندم على ما فاته، وقال تائباً نادماً:

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصِّبَا
لَمَّا عَلَانِي لِلْمَشْيِبِ قِنَاعُ

(١) بهجة المجالس ١/١٤٠. وشفك: أسقمك. والمؤنة: القوت وما يدحر منه.

فدع الصِّبا يا قلبُ واسلُ عن الهوى
 ما منك بعدَ مشييك استِمتاعُ
 وانظرُ إلى الدنيا بعينِ مودّعٍ
 فلقددنا سفرُ وحنَّ وداع
 والحادثاتُ موكلاتُ بالفتى
 والناسُ بعدَ الحادثاتِ سماعُ^(١)
 * * *

ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)

(وكان مني الموت قيد يد)

ومن الذين تابوا إلى ربهم، وندموا على ما قصرُوا به في
 جنب الله، ثم راحوا يتصورون أنفسهم وقد تخطفهم الموت،
 أحمد بن محمد بن عبد ربه، الأندلسي، وصاحب «العقد
 الفريد» إذ يقول من الشعر الزهدي:

مَنْ لي إذا جُدْتُ بينَ الأهلِ والولَدِ
 وكان مِنِّي نحو المَوْتِ قيدُ يدِ
 والدمعُ يهملُ والأنفاسُ صاعدةُ
 فالدمعُ في صَبَبٍ والنفسُ في صُعْدِ

(١) شعر الزهد ص ٢٦٠.

ذاك القضاء الذي لا شيء يصرفه
حتى يفرق بين الروح والجسد^(١)

* * *

(لا بد لله من إنجاز ما وعدا)

ويقول ثانية، تائباً نادماً:

بادِرْ إلى التَّوْبَةِ الخِصَاءِ مجتهداً
والموتُ وَثَحَكَ لم يمددْ إليك يدا
وَأَرْقُبْ مِنَ اللَّهِ وعداً ليس مُخْلِفُهُ
لا بدَ لِلَّهِ مِنْ إنجازِ ما وَعَدَا^(٢)

* * *

(إذا اخضر منها جانب جفّ جانب)

ويقول ابن عبد ربه ذاما الدنيا، ثالثة:

ألا إِنَّمَا الدُّنْيَا نَضَارَةٌ أُيْكَةٍ
إذا اخْضَرَّ منها جانبٌ جَفَّ جانبٌ
هي الدَّارُ ما الآمالُ إِلَّا فجائِعُ
عليها ولا اللَّذَاتُ إِلَّا مصائب

(١) العقد الفريد ١/٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه ١/٣١٩. والخصاء: الخالصة والنصوح. يحلفه: يؤجله وينقضه.

فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة
على ذاهب منها فإنك ذاهب^(١)

* * *

(فإن الحزن عاقبة السرور)

ومن أرق شعره الزهدي، وأصدقه لوعة ولهجة، قوله
مخاطباً نفسه وقد تصورهما ما تزال عاكفة على اللهو والفجور:

ألهو بين باطية وزير
وأنت من الهلاك على شفير
فيا من غرة أمل طويل
يؤديه إلى أجل قصير
أفرح والمنية كل يوم
تريك مكان قبرك في القبور
هي الدنيا فإن سرتك يوماً
فإن الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت منها
كعارية ترد إلى المعير
وتعتاض اليقين من التظني
ودار الحق من دار الغرور^(٢)

(١) العقد الفريد ٣١٢/١. والأليكة، واحدة الأيك، الشجر المعروف.
والعرة: الدمة.

(٢) المصدر نفسه ٣٢٤/١. والباطية: زجاجة الحمر. والزير: وتر العود.

(طويت زمانى برهة وطواني)

ومن جيد شعره الزهدي وقد أشرف على الموت، يقول ابن
عبد ربه :

كِلَانِي لِمَا بِي عَاذِلِي كَفَانِي
طَوَيْتُ زَمَانِي بِرَهَةِ وَطَوَانِي
بَلَيْتُ وَأَبَلَيْتُ اللَّيَالِي مُكْرَهًا
وَصَرَفَانِ لِأَيَّامٍ مُعْتَوِرَانِي
وَمَالِي لَا أَبْلَى لِسَبْعِينَ حَجَّةً
وَعَشْرٍ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا سَتَانِ
وَإِنِّي بِعَوْنِ اللَّهِ رَاجٍ لِفَضْلِهِ
وَلِي مِنْ ضَمَانِ اللَّهِ خَيْرُ ضَمَانِ
وَلَسْتُ أَبَالِي مِنْ تَبَارِيحٍ عَلَّتِي
إِذَا كَانَ عَقْلِي بَاقِيًا وَلِسَانِي^(١)

* * *

(يا رب غفرانك)

ومن قول ابن عبد ربه في التوبة والزهد والاعتراف بالذنب :

يَا وَيْلَنَا مِنْ مَوْقِفٍ مَا بِهِ
أَخَوْفُ مِنْ أَنْ يَعْدُلَ الْحَاكِمُ

(١) تاريخ الآداب العربية ١٣٤/٢ . والصرفان : الليل والنهار . واعتوراني :
تداولاني والتباريح : الآلام . وكلاني : أتركاني .

أبا رزُّ اللّهُ بِعَصِيَانِهِ
وليسَ لي من دونه راحمٌ
يا ربِّ غُفْرَانِكَ عن مَذْنِبِ
أسرفَ إلّا أَنه نادمٌ^(١)

* * *

===== ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م)

ومن الشعر الزهدي القائم على أساس روح التوكل في
الرزق على الله يقول عبد الله بن محمد، المعروف بابن أبي
الدنيا:

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِي بِحِيلَةٍ
فَقَدْ كَذَّبَتْهُ نَفْسُهُ وَهُوَ آثِمٌ
يَفُوتُ الْغِنَى مِنْ لَا يَنَامُ عَنِ السَّوْءِ
وَأَخْرُ يَأْتِي رِزْقُهُ وَهُوَ نَائِمٌ
سَأْصْبِرُ إِنْ دَهْرُ أَنْأَخَ بِكُلِّكُلٍ
وَأَرْضَى بِحُكْمِ اللَّهِ فَاللَّهُ حَاكِمٌ^(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ٣١٨/١.

(٢) بهجة المجالس ١٣٨/١.

البحثري (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)

(ولا مزرٍ بحظي تأخري)

ومن أشعار الزهد والقناعة التي طلع بها علينا أبو عبادة
البحثري ، قوله :

قنعتُ وجانبْتُ المطالعَ لابساً
لباسَ محبٍ للنزاهةِ مؤثرٍ
وأنسني علمي بأن لا تقدُمي
مفيدي ولا مزرٍ بحظي تأخري
ولو فاتني المقدورُ ممّا أريدُه
بسغي لأدركتُ الذي لم يُقدّر^(١)

* * *

بشر الحافي (ت ٢٢٠ هـ)

(فاستغن بالله)

من أشهر الزهاد الأتقياء ، والصلحاء النجباء أبو نصر بشر بن
الحارث الحافي ، المروزي الأصل ، البغدادي النشأة ، وشعره
يتضمن آراء وأفكاراً تدعو إلى الاستغناء بالله ، والاكتفاء بالقليل

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤١٤ .

القليل من المتاع ، فإن متاع الدنيا قليل في الآخرة . يقول بشر
مزهداً :

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَرَضِخُ النَّوَى
وَشَرِبُ مَاءِ الْأَعْيُنِ الْمَالِحَةِ
أَعَزُّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ حَرِصِهِ
وَمِنْ سَوَالِ الْأَوْجِهِ الْكَالِحَةِ
فَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ تَكُنْ ذَا غِنَى
مَغْتَبِطاً بِالصَّفْقَةِ الرَّابِحَةِ
مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ بَرَّةً
فَإِنَّهَا يَوْمًا لَهُ ذَابِحَةٌ^(١)

* * *

(فلست أسلك إلا أوضح الطرق)

ويقول مؤكداً على وجوب الأخذ بالقناعة والكفاف :

قَالُوا قَنَعْتَ بِذَا قَلْتَ الْقَنُوعُ غِنَى
لَيْسَ الْغِنَى كَثْرَةُ الْأَمْوَالِ وَالسُّورِقِ
رَضِيتُ بِاللَّهِ فِي عُسْرِي وَفِي يُسْرِي
فَلَسْتُ أَسْلُكُ إِلَّا أَوْضَحَ الطَّرِيقِ^(٢)

(١) تهذيب ابن عساكر ٢٣٧/٣ . ورضخ : كسر ودق . والكالحة : العابسة .
وبرة : وفيه .

(٢) شعر الزهد ، ص ١٠٠ .

(ولا عز أعز من القناعة)

وفي المعنى ذاته يقول بشر:

أفادتني القناعة أي عز
ولا عز أعز من القناعة
فخذ منها لنفسك رأس مال
وصير بعدها تقوى بضاعة^(١)
ومن أجود شعر بشر في الزهد قوله:

ومن عجب الدنيا تبقيك للبلى
وأنت فيها لبقاء مريد
وأي بني الأيام إلا وعنده
من الدهر ذنب طارف وتليد
ومن يأمن الأيام أما اتساعها
فخطر وأما فجعها فعتيد
إذا اعتادت النفس الرضاع عن الهوى
فإن فطام النفس عنه شديد^(٢)

* * *

(١) نفسه ص ١٠١ .

(٢) الأغاني ١٣٩/١٢ .

تَخَلَّيْتُ عَنْ دُنْيَايَ إِلَّا ثَلَاثَةً
 دَفَاتِرَ مِنْ عِلْمٍ وَبَيْتاً وَمَسْجِداً
 غَنَيْتُ بِهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوِيَّتُهُ
 وَكُنْتُ بِهَا أَغْنِي وَأَقْنِي وَأُسْعِدُ
 وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ مُشْرِفٍ
 بَيْتٌ مُقَرَّراً بِالضَّلَالَةِ مُجْهَداً
 فَجَتُّهُ الْمَنَايَا وَهُوَ فِي حِينِ غَفْلَةٍ
 فَأَضْحَى ذَلِيلاً فِي التَّرَابِ مُوسَّداً^(١)
 * * *

(وَحَبَسْتُ نَفْسِي بَيْنَ بَيْتِي وَمَسْجِدِي)

ولعل في هذين البيتين التاليين ما يؤكد المعنى السابق خير
 تأكيد، فيقول:

وَأَصْبَحْتُ فِي مَا كُنْتُ أَبْغِي مِنَ الْغِنَى
 إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الدُّنْيَا أَحْوَجَا
 وَحَبَسْتُ نَفْسِي بَيْنَ بَيْتِي وَمَسْجِدِي
 وَقَدْ صَرْتُ مِثْلَ النَّسْرِ أَهْوَى التَّعَرُّجَا^(٢)

(١) نفسه ٩٥. وفجته: أصلها: فجأته، بحذف الهمز. وأقنى: أكثر قنية
 وغنى.

(٢) نفسه ص ٩٦.

(فليس بما لك منه نقيرا)

وزيادة في التأكيد على الزهد بالحياة، يورد الشاعر قوله:

وكم من طالبٍ للمالِ يسعى
ويركبُ في مطالبه البحورا
فعادَ يودُّ أن لو كانَ أمسى
فليسَ بِمالكٍ منه نقيرا^(١)

* * *

كشاجم (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)

(والنار قد يطفئها النافخ)

ومن أطف معاني الزهد، ما قاله كشاجم، وهو لقبه،
واسمه أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب، أحد أبرع شعراء
الوصف في العصر العباسي الثاني. يقول كشاجم:

ومستزید في طلاب الغنى
يجمعُ لحمًا ماله طابخُ
ضيّع أموالاً بما يرتجي
والنارُ قد يُطفئها النافخُ^(٢)

(١) نفسه ص ٩٦. والنقير: نكتة صغيرة في النواة، وهي كناية عن أحقر الأشياء.

(٢) محاضرات الأدباء ٥١٩/٢.

حرب بن المنذر

(فما سؤلنا إلا المودة من أجر)

ومن الشعر الزهدي ما قاله حرب بن المنذر بن الجارود،
وهو التالي:

فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا كِفَافٌ يُقِيمُنِي
وَأَثْوَابُ كِتَابٍ أَزُورُ بِهَا قَبْرِي
وَحُبِّي ذَوِي قُرْبَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَمَا سُؤْلُنَا إِلَّا الْمَوَدَّةُ مِنْ أَجْرٍ^(١)

* * *

بعضهم

(واحسرتي)

ومن أرق شعر الزهد وأبلغه قول بعضهم:

واحسرتي في يوم يجمعُ شرَّتي كَفَنٌ وَلَحْدُ
ضَيَّعْتُ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ بِالَّذِي لِي مِنْهُ بُدٌّ^(٢)

* * *

(١) البيان والتبيين ٥٥٣/٣. والبيت الثاني مصداق للآية الكريمة: «قل لا

أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى».

(٢) رسالة الغفران ص ٤١. والشرّة: الحدة.

الفارابي (ت ٣٣٩ هـ / ٩٥١ م)

(فقيم التزاحم في المركز)

ومن نادر الشعر الزهدي ، وألفه إشارة ، وأعمقه معنى ، ما
قاله الفيلسوف الإسلامي أبو النصر محمد بن طرخان الفارابي ،
ويظهر فيه أثر الرياضة والفلسفة واضحاً. يقول الفارابي :

أخي خَلِّ حَيِّزَ ذي باطلٍ
وَكُنْ لِلْحَقَائِقِ فِي حَيِّزٍ
فَمَا الدَّارُ دَارَ خُلُودٍ لَنَا
وَلَا الْمَرْءُ فِي الْأَرْضِ بِالمُعْجِزِ
وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا خُطُوطٌ وَقَعْنَ
عَلَى كُرَّةٍ وَقَعَ مُسْتَوْفِرِ
يَنَافِسُ هَذَا لِذَاكَ عَلَى
أَقْلٍ مِنَ الْكَلِمِ الْمَوْجِزِ
مَحِيطُ السَّمَوَاتِ أَوْلَى بِنَا
فَفِيَمَ التَّزَاحُمُ فِي الْمَرْكَزِ^(١)

* * *

(١) عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة ص ٦٠٨ . والحيز: المكان . والمستوفر:
المتهيء للقيام .

ابن الجوزي (القرن الـ ٦ هـ / ١٢ م)

(مهلاً فما اللذات إلا خدع)

ومن أطف أشعار الزهد والوعظ، ما قاله أبو الفرج
عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، وهو المشهور في
مباحث الفقه والتفسير والأدب، يقول أبو الفرج واعظاً:

يا نادباً أطلال كل نادٍ
وباكياً في إثر كل حادي
مستلب القلب بحب غادة
غدت فإن البين بالفؤاد
مهلاً فما اللذات إلا خدع
كأنها طيف خيال غادي^(١)

* * *

(يا ساكن الدنيا تأهب)

ومن أفضل شعره الزهدي، قوله:

يا ساكن الدنيا تأهب
وانتظر يوم الفراق

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب ٤٢٥/١. القاهرة ١٩٥٢ م
والبين: الفراق. والغادي: السائر صباحاً.

وأعدَّ زاداً للرحيل
فسوف يُحْدَى بالرِّفاقِ
وأبْكَ الرِّبوعَ بأدمعِ
تنهلُّ مِنْ سُحْبِ الأماقِ
يا مَنْ أضاعَ زمانه
أرضيتَ ما يَفْنَى بِباقٍ^(١)

* * *

===== ابن أبي زندقة (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م)

(إنها ليست لحيّ وطناً)

ومن الشعر الذي يعبر فيه أبو بكر محمد الطرطوشي،
المعروف بابن أبي زندقة الأندلسي، عن زهده بالحياة الدنيا،
والدعوة إلى العمل الصالح، قوله، وهو يتميز بالسهولة:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطُنًا
طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
فَكَّروا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا
أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطْنَا

(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط بن الجوزي ٤٤/١. مخطوطة الأزهر
رقم ٦٧٦٥. ويحْدَى: يغني لهم حذاء. والأماق: محاجر العيون. جمع
مؤقة.

جعلوها لُجَّةً واتَّخذوا
صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنًا^(١)

* * *

===== ابن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)

(فما يقبل اليوم منك اعتذار)

ومن الشعر الذي يندرج في دائرة الزهد، أو ما يشبه
الزهد، ما قاله الرحالة الأندلسي الشهير، محمد بن أحمد بن
جبير:

خلقتَ العذار بِشَيْبِ العذارِ
فما يُقبلُ اليومَ منك اعتذارُ
وقالوا المشيبُ وقارُ الفتى
وهذا المشيبُ فأين الوقار
جلا صبحُه عنك ليلَ الشَّبابِ
فشمسُكَ مُؤَذِّنَةٌ بِاصْفِرارِ
أراكَ صَحَبْتَ حياةَ الغرورِ
وتسحبُ جهلاً ذِيولَ اغترارِ
ألسْتَ ترى كدراً صفوها
ونجمكَ قد مالَ يبغِي انكدارِ

(١) تاريخ الآداب العربية ١٦٩/٢ . وفطن: أذكىء واللجة: معظم الماء.

وكيف تنامُ على غرّة
وسيفُ المنيّةِ ماضي الغرار
فلو كنتَ تحذرُ صرفَ الرّدى
إذا لَنَفى النّومَ عنكَ الجدار
عبرتَ مراحلَ عمرٍ الأشدّ
ولستَ أرى لك فيها اعتبار
وجرتَ بها عن طريقِ الهدى
صلاةً وتعدو على أن تُجار
أتاك الرّحيلُ فشمرُ له
فإمّا إلى جنةٍ أو لِنار
وكيف تقرأ بِدنياك عيناً
ولم تدري أينَ يكونُ القرار^(١)

* * *

(وما الدنيا لساكنها بدار)

ولابن جبیر، هذان البيتان الرائعان من الشعر الزهدي :

أراك مِن الحَيَاةِ على اغترار
ومالكَ بالإنابةِ مِن بدار

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٢١٢ . ج ١ . محلد ٢٩ . ١٩٨٥ م .
والعذار: جانب اللحية . وخلع عذاره: إبهمك في الغي ، والغرة: الغفلة .
والغرار: القلب يضرب عليه النّصال .

وتطمعُ في البقاءِ وكيفَ تبقى
وما الدُّنيا لساكنها بدارٍ^(١)

* * *

(وما يرجى لتوبته قبول)

وله أيضاً:

يُنيلُ المرءُ تبصرةً وذكرى
إذا ما أبيضُ فُوداه وشابا
وما يُرجى لِتُوبتهِ قبولُ
إذا مزجَ الرِّياءَ بها وتابا^(٢)

* * *

===== ابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م)

(فأنت يا مولاي أولى به)

من نادر شعر الزهد في الحياة، والتوبة من الذنب،
والتضرع إلى الله والتورع عن المحارم، ما قاله أبو الحسن
يحيى بن عيسى، المعروف بابن مطروح، وكان ملازماً لملوك

(١) المرجع نفسه ص ٢١٣. والبدار: الإسراع.

(٢) المرجع نفسه ص ٢١١. والفودان، مثني فود، وهو جانب الرأس مما يلي
الأذن.

بني أيوب في مصر والشام . يقول ابن مطروح ، مناجياً ربه ،
تائباً إليه ، وهو من أسهل الشعر وأبينه :

يا أيُّها الشَّامُخُ في قُرْبِهِ
يا أيُّها الظَّاهِرُ في حُجْبِهِ
بِالْبَابِ كَلْبٌ وَجِلٌّ خَائِفٌ
مِنْ طَوْلِ مَا أَسْلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ
جاءَكَ يَسْتَغْفِرُ ما قَدْ جَنَى
مُلْقَى مِنَ الدُّلِّ على جَنْبِهِ
وَهُوَ مَعَ الْخَوْفِ شَدِيدُ الرَّجَا
فَأَنْتَ يا مَوْلَايَ أَوْلَى بِهِ
مُنَكِّسٌ مِنْ خَجَلٍ رَأْسُهُ
بِاسِطُ خَدَّيْهِ على تُرْبِهِ
فَهَلْ لَهُ غَيْرُكَ مِنْ رَاحِمٍ
هَلْ يَرْحَمُ الْكَلْبَ سِوَى رَبِّهِ
وَهَلْ لَهُ فِيكَ طُمَأْنِينَةٌ
تَدْخُلُ بِالْأَمْنِ على قَلْبِهِ^(١)

* * *

(١) ديوان ابن مطروح ص ١٢١ . مطبعة الجوانب . القسطنطينية ١٢٩٨ هـ .

بعضهم

(وكل الذي دون الممات قليل)

ومن أروع ما قيل في الزهد والحكمة، ما قاله بعضهم:

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فَرْقَةٌ
وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلٌ
وَإِنْ افْتَقَادِي وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ
دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومُ خَلِيلٌ^(١)

* * *

بعضهم

(والفوز فوز الذي ينجو من النار)

ومن بديع الشعر قول بعضهم في التوبة والزهد:

إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ
وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ
يَا رَبِّ اسْرِفْتُ فِي ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي
وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِيناً سُوءَ أَثَارِي
فَاغْفِرْ ذُنُوباً إِلَهِي قَدْ أَحْطَتْ بِهَا
رَبِّ الْعِبَادِ وَزَحْزَحْنِي عَنِ النَّارِ^(٢)

(١) البيان والتبيين ٤٧٧/٣ .

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٣ - ١٠٤ .

الباب الثالث

في ما بعد العصر العباسي

ابن الشردة (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م)

(يا أيها النائم)

ومن أعجب أخبار علي بن إبراهيم المعروف بابن الشردة
الواعظ بمسجد دمشق في القرن الثامن الهجري، أنه كان
يتخذ كارة، أي صرة، يحملها تحت إبطه فلا تفارقه ليلاً ولا
نهاراً، وكانت تضم ما قاله من قصائد وموشحات في الغزل
والوعظ والزهد، وإن منها هذه الأبيات الموشحة الزهدية:

يا أيُّها النَّائمُ كمَّ هذا الرُّقادُ
إِنْتَبِهْ كمَّ نَوْمُ
انتبه من ذا الكرى يا ذا الجمادِ
تلحقْ بِالقَوْمِ
وتأهَّبْ لِغَدِ يومِ المعادِ
يا لَهُ مِنْ يَوْمِ

وَأَفْعَلِ الْخَيْرَ لِتَحْظِيَ بِالنَّجَاحِ
لَا تَكُنْ كَسَلَانُ
وَاجْتَهِدْ فَاَلْمَجْتَهِدُ يَلْقَى الْفَلَاحُ
وَيَرَى الْإِحْسَانَ
قَدْ تَقْضَى الْعَمْرُ دَعُ لَهْوَ الصَّبَا
أَيُّهَا الْغَافِلُ
لَا تَكُنْ مِمَّنْ إِلَى الْجَهْلِ صَبَا
تَبِيسَ الْجَاهِلُ
كُلُّ شَيْءٍ تَهْبُ الدُّنْيَا هُبَا
لَيْسَ بِالْطَّائِلُ
كَمْ حَرِيصٍ خَلَفَ الدُّنْيَا وَرَاحُ
لَا بَسَ الْأَكْفَانُ
وَأَخُو الْفَقْرِ تُؤَفِّي فَاسْتِرَاحُ
قَلْبُهُ التَّعْبَانُ^(١)

* * *

(١) تاريخ الأدب العربية ٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦ . وهبا: مقصور هباء، وهو الغبار،
ويوم المعاد: يوم القيامة . والكرى: النوم .

=====

عمر الأنسي (ت ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م)

(رغبت عن الدنيا)

ومن شعر عمر بن محمد الأنسي ، الأديب والشاعر
البناني ، قوله في الزهد :

رَغِبْتُ عَنِ الدُّنْيَا وَزَخَرَفِ أَهْلِهَا
وَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّمَا الْعِيشُ فِي الْأُخْرَى
فَدَعْنِي وَزُهْدِي فِي الْحَطَامِ فَإِنِّي
أَرَى الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا هُوَ الرَّاحَةُ الْكُبْرَى^(١)

* * *

=====

الحسن بن الهبل (ت ١٠٧٩ هـ)

(وإنما الآخرة المنزل)

وللحسن بن علي بن جابر الهبل اليمني ، الذي اشتغل
بالعلوم والآداب ، شعر رائع في وصف الدنيا ، يميل فيه إلى
الزهد والوعظ والتأمل والمناجاة ، يقول الحسن بن الهبل

أَيْنَ اسْتَقَرَّ السَّفَرُ الْأَوَّلُ
عَمَّا قَرِيبَ بِهِمْ نَنْزَلُ

(١) المرجع نفسه ٣٢٨/٢ . والحطام : يريد به حطام الدنيا وزينتها .

مَرُّوا سِرَاعاً نَحْوَ دَارِ الْبَقَا
 وَنَحْنُ فِي آثَارِهِمْ نَرْحَلُ
 مَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَنَا مَنْزَلاً
 وَإِنَّمَا الْآخِرَةُ الْمَنْزَلُ
 قَدْ حَذَرْتُنَا مِنْ تَصَاريفِهَا
 لَوْ أَنَّنَا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ
 يُطِيلُ فِيهَا الْمَرْءُ آمَالَهُ
 وَالْمَوْتُ مِنْ دُونِ الَّذِي يَأْمَلُ
 يَحْلُو لَهُ مَا مَرَّ مِنْ عَيْشِهَا
 وَدُونَهُ لَوْ عَقَلَ الْحَنْظَلُ
 أَلْهَتْهُ عَنْ طَاعَةِ خَلَّاقِهِ
 وَاللَّهُ لَا يُلْهَوُ وَلَا يَغْفَلُ
 يَا صَاحِبَ مَالِذَةِ الْعَيْشِ بِهَا
 وَالْمَوْتُ مَا تَدْرِي مَتَى يَنْزِلُ
 يَدْعُو لِي الْأَحْبَابُ مِنْ بَيْنِنَا
 يُجِيبُهُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ
 يَا جَاهِلاً يَجْهَدُ فِي كَسْبِهَا
 أَغْرَكَ الْمَشْرَبُ وَالْمَأْكَلُ
 وَيَا أَخَا الْحِرْصِ عَلَى جَمْعِهَا
 مَهْلاً فَعَنُهَا فِي غَدٍ تُسْأَلُ

لا تتعبنَّ فيها ولا تأسفنَّ
 لما مضى فالأمر مستقبل
 ما قولنا بين يدي حاكمٍ
 يعدلُ في الحكم ولا يعزل
 ما قولنا لله في موقفٍ
 يخرسُ فيه المصقعُ المقول
 وإن سئلنا فيه عن كلِّ ما
 نقولُ في الدنيا وما نفعل
 ما الفوزُ للعالم في علمه
 وإنما الفوزُ لمن يعمل^(١)

* * *

(رويدك من كسب الذنوب)

وله أيضاً:

رَوَيْدَكَ مِنْ كَسْبِ الذَّنُوبِ فَأَنْتَ لَا
 تَطِيقُ عَلَى نَارِ الْجَحِيمِ وَلَا تَقْوَى

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي ٣١/٢. مكتبة
 خياط. بيروت والسفر: جماعة المسافرين. وتصاريف الدنيا: حوادثها.
 والحنظل؛ نبات مرّ والمصقع المقول: الخطيب البارع في القول
 والخطابة.

أترضى بأن تلقى المهيمَن في غدٍ
وأنت بلا علمٍ لَدَيْكَ ولا تقوى^(١)

* * *

ابن عطيف (ت ١٠٨٩ هـ)

(وما يعنيك لا تهدم مشاده)

ومن الشعر الوعظي الزهدي المسمى بنظم التلقين ، ما قاله
حسن بن موسى المعروف بابن عطيف الدمشقي . يقول ابن
عطيف :

تَتَبَّعْ يَا فَتَى طُرُقَ السَّعَادَةِ
فَتِلْكَ إِذَا وَصَلْتَ هِيَ السَّعَادَةُ
وَجَنَّبْ نَفْسَكَ الشُّبُهَاتِ وَاصْبِرْ
وَفِي مَا حَلَّ فَالْزَمِهَا الزَّهَادَةَ
وَحُبَّ اللَّهِ آثَرُهُ وَأَحْسِنْ
وَقُمْ بِالْوَاجِبَاتِ مِنَ الْعِبَادَةِ
وَعِظْ أَمْرَهُ تَعْظِيمَ عَبْدٍ
تَيَقَّنْ رَحْلَةً فَأَعِدَّ زَادَهُ

(١) المصدر نفسه ٣٣/٢ . والمهيمَن : اسم من أسماء الله تعالى ، ويعني
القوي المسيطر .

ولا تفرح بما أُوتيتَ وأندم
 على التفريطِ عن طلبِ السعادة
 تجنب ما نهاك الله عنه
 وما يعينك لا تهدم مشاده
 تصوّر بعد موتك ما تُلاقي
 فبدي الأمرِ تمكّنه الإعادة
 وجنب نفسك الدنيا فمن لم
 يحاذرها فقد ملكت قيادة
 ومهما آذنت بصلاح أمرٍ
 تراه صالحاً فاحذر فساد
 ورجّ الخير في الأحوالِ إلّا
 لذي ذنبٍ فخف وأقذح زنا
 ومهما أمكنتك خصالٌ خيرٍ
 فأثرها تفز وحز الإعادة^(١)

* * *

محمد الكواكبي (ت ١٠٩٦ هـ)

(حتم في ليل الهموم)

ومن الشعر الزهدي الداعي إلى الإنابة لله، والتضرع إليه،

(١) خلاصة الأثر ٦٨/٢.

قول محمد بن حسن الكواكبي، الحلبي، وكان مفتياً، وفقياً
وشاعراً:

حَتَّامٌ فِي لَيْلِ الْهَمُومِ
زَنَادَ فِكْرِكَ تَقْتَدِحُ
قَلْبٌ تَحْرَقُ بِالْأَسَى
وَدَمُوعُ عَيْنٍ تَنْسَفِخُ
إِرْفَقُ بِنَفْسِكَ وَاعْتَصِمُ
بِحِمَى الْمَهِيْمِ تَنْشُرُ
وَاضْرَعُ لَهُ إِنْ ضَاقَ
عَنْكَ خَنَاقُ حَالِكَ تَنْفَسُحُ
مَا أُمَّ سَاحَةَ جُودِهِ
ذُو مُحْنَةٍ إِلَّا مُنِحُ
أَوْ جَاءَهُ ذُو الْمَعْضَلَاتِ
بِمُفْلَقٍ إِلَّا فُتِحَ
فَدَعِ الْهَوَى وَأَنْهَجِ عَلَى
نَهْجِ السَّوِيِّ السَّمْتِضِحِ
وَأَسْمَعْ مَقَالََةَ نَاصِحِ
إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَنْتَصِحُ
مَا تَمَّ إِلَّا مَا يَرِيدُ
فَدَعِ مَرَادَكَ وَاطَّرِحِ

وَأَتْرَكَ وَسَاوَسَكَ الَّتِي
شَغَلْتُ فَوَادَكَ تَسْتَرْحُ^(١)

* * *

إسماعيل صبري (ت ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م)

(يا عالم الأسرار)

ومن الشعر الوجداني الزهدي القائم على الرجاء
واستعطاف العزة الإلهية، ما قاله إسماعيل صبري باشا،
الأديب والشاعر المصري. يقول إسماعيل مناجياً ربه،
ومتسائلاً ومستعطفاً:

يَا رَبِّ أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمُ
لِلظَّالِمِينَ غَدًا وَلِلْأَشْرَارِ
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى
وَالْأَرْضِ شَبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
يَا رَبِّ أَهْلُنِي لِفَضْلِكَ وَاكْفِنِي
شَطَطَ الْعَقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ
وَمُرِّ الْوَجُودِ يَشْفُ عَنْكَ لِكَيْ أَرَى
غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الْجَبَّارِ

(١) خلاصة الأثر، للمحجي ٤٣٨/٣ - ٤٣٩.

يا عالم الأسرار حَسْبِي مَحْنَةٌ
علمي بأنك عالم الأسرار
أَخْلَقَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسْعُ الْوَرَى
أَنْ لَا تَضِيقَ بِأَعْظَمِ الْأَوْزَارِ^(١)

* * *

===== رشيد عطاالله (ت ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م)

(إنما الأكدار فيها شبه نوّ)

ومن الشعر الذي نظمته في صدر حياته في الزهد وغرور
الدنيا، رشيد يوسف عطاالله الأديب والشاعر اللبناني، قوله
من أبيات على رويّ الواو الساكنة:

عاشق الدنيا إلى ما أنت غوّ
قلب أيّ ودّها ولم يُدوّ
قد ظننت ماءها يروي الظّما
أتروم الرّيّ والإناء صوّ
كلّ خيرٍ نازح عنها ألا
إنما الأكدار فيها شبه نوّ

(١) تاريخ الآداب العربية ٣٤٦/٢. والأوزار: الذنوب، جمع وزر. ويشف: يرق ويظهر. والشطط: تجاوز الحد.

فبِجَامِ الرّاحِ تَسْقِيكَ الرّدى
وكأَيِّ جَدَحَتْ سَمّاً بِخَوٍ
واذْكُرْ في أربعٍ لا تَنْسَهَا
إِنَّ ذِكْرَهَا لِنُورِ اللَّهِ كَوٍ
مَوْتُ جَسْمٍ عاجلاً أو آجلاً
دينُ نفسٍ ثم دارُ الخُلْدِ أو^(١)
* * *

===== حمزة الملك (القرن العشرون م)

(مولاي قد نامت عيون)

من أرق شعر التأمل في الوجود والزهد بالحياة، ما قاله
حمزة الملك طنبل، الشاعر السوداني المعاصر، والرومانيكي
النزعة، من قصيدة يناجي فيها ربّه وأسماءها: جوف الليل.
يقول حمزة الملك:

مولاي قد نامت عيونُ
وتيقّظت أيضاً عيونُ

(١) نفسه ٣٩٨/٢. والغو: مخفف غو، وهو الفصيل المهزول، كناية عن اللهو
ودوى. سار في الدو، وهي الفلاة. والصو: الفارغ، مخفف صو والنو:
المطر. وجدحت: خلطت. والخو: العسل. وهووها. عشقوها. وهووا.
سقطوا وماتوا. والكو: البافدة، مخفف كوة.

نامت عيونُ الخائنينَ
وعينُ نجمك لا تخونُ
ترنو إلينا وهي ساهيةُ
عن الدنيا الخؤونُ
أتراه أذهلها جلالُ
الله أم مرُّ القرونُ
أم أن من فوق الثرى
لا يسمعون ولا يعونُ
يا ويح نفسي وهي ترسفُ في سجونُ
آمنت أن الفرد فوق الأرض أحقرُ ما يكونُ
مولاي لو خيرتني لأخترتُ أني لا أكونُ^(١)

* * *

التيجاني البشير (القرن العشرون م)

(الوجود الحق ما أوسع في النفس مداه)

وقريب من الشعر الأنف الذكر، ما يقوله معاصره التيجاني
يوسف بشير، وهو الذي تأمل الوجود، وأشرف على تجليات
الله تعالى في الكون والكائنات، يقول من أبيات له :

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٤٢٧ .

كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ يَمْشِي فِي حَنَائِهِ الْإِلَهُ
 هَذِهِ النَّمْلَةُ فِي رِقَّتِهَا رَجْعُ صَدَاهُ
 هُوَ يَحْيَا فِي حَوَاشِيهَا وَتَحْيَا فِي ثَرَاهُ
 هِيَ إِنْ أَسْلَمَتِ الرُّوحَ تَلَقَّتْهَا يَدَاهُ
 لَمْ تَمُتْ فِيهَا حَيَاةُ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ تَرَاهُ
 الْوَجُودُ الْحَقُّ مَا أَوْسَعَ فِي النَّفْسِ مَدَاهُ
 وَالسَّكُونُ الْمُحَضُّ مَا أَوْثَقَ بِالرُّوحِ عُرَاهُ
 كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ يَمْشِي فِي حَنَائِهِ الْإِلَهُ
 هَذِهِ النَّمْلَةُ فِي رِقَّتِهَا رَجْعُ صَدَاهُ
 هُوَ يَحْيَا فِي حَوَاشِيهَا وَتَحْيَا فِي ثَرَاهُ
 وَهِيَ إِنْ أَسْلَمَتِ الرُّوحَ تَلَقَّتْهَا يَدَاهُ
 لَمْ تَمُتْ فِيهَا حَيَاةُ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ تَرَاهُ^(١)

(١) نفسه ٤٢٨/٢ .

ثبت المصادر والمراجع

- أخبار الشعراء للصولي، جمع وتحقيق هوارت دن. بغداد وبيروت.
- الإعجاز والإيجاز للثعالبي، دار صعب. بيروت.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ط بولاق وط دار الكتب.
- بهجة المجالس للقرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي دار الكتاب العربي، بيروت.
- البيان والتبيين للجاحظ، دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.
- تاريخ الآداب العربية لرشيد يوسف عطا الله، تحقيق علي عطوي، ط ١. دار عز الدين، بيروت ١٩٨٥ م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.
- حميد ثور: حياته وشعره. لرضوان النجار، رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي، مكتبة خياط بيروت.

- ديوان ابن الرومي ، دار صادر - دار بيروت ١٩٦٥ م .
- ديوان ابن مطروح ، مطبعة الجوائب . القسنطينية ١٢٩٨ هـ .
- ديوان ابن المعتز ، مطبعة المحروسة بمصر ١٨٩١ م . نشر
دار بيروت ١٩٦١ م .
- ديوان أبي تمام ، شرح التبريزي تحقيق محمد عزام دار
المعارف بمصر ١٩٦٥ م .
- ديوان أبي العتاهية ، دار صادر . دار بيروت ١٩٦٥ م .
- ديوان أبي نواس تحقيق أحمد الغزالي ، دار الكتاب العربي .
بيروت .
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، المطبعة العلمية ، القاهرة ،
طبعة منقحة ١٣١٩ هـ .
- ديوان بشار بن برد ، شرح محمد الطاهر بن عاشور مطبعة
لجنة التأليف والترجمة . تونس ١٩٥٧ م .
- ديوان الحماسة لأبي تمام ، شرح التبريزي ط ١ . دار القلم .
بيروت .
- ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري . شرح نزار رضا . دار
مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥ م .
- ديوان الشافعي تحقيق زهدي يكن دار الثقافة بيروت
١٩٦١ م .
- ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق إحسان عباس . ط الكويت
١٩٦٢ م .

- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب تحقيق محمد خان
الفقي . مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٩٥٢ م .
- رسالة الغفران لأبي العلاء المعري دار صعب بيروت
١٩٦٨ م .
- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري أ - تحقيق علي
البجاوي . ط ١ . دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م .
- ب - تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد . ط ٤ . دار الجيل . بيروت ١٩٧٢ م .
- شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة، لعلي عطوي .
ط ١ . المكتب الإسلامي . بيروت ١٩٨١ م .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر .
- العقد الفريد لابن عبد ربه أ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر . القاهرة ١٩٦٥ م .
- ب - وشرح خليل شرف الدين . دار
ومكتبة الهلال . بيروت .
- عيون الأخبار لابن قتيبة . المؤسسة المصرية للطباعة والنشر .
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد مكتبة المعارف . بيروت .
- مجلة معهد المخطوطات العربية المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم ، الكويت ١٩٨٤ - ١٩٨٥ م .
- المحاسن والأضداد للجاحظ ، دار صعب ، بيروت ١٩٦٩ م .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، للراغب

- الأصبهاني ، دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦١ م .
- المستظرف من كل فن مستظرف للأبشيحي دار الكتب
العلمية ، بيروت ١٩٨٣ م .
- معادن الجواهر ونزهة الخواطر للسيد محسن الأمين بيروت
١٤٠١ هـ .

الفهرس

٥ المقدمة
	الباب الأول
٩ في ما قبل العصر العباسي
٩ عدي بن زيد
١٢ جبلة بن حريث
١٣ بشر بن أبي خازم
١٥ لبيد
١٧ الإمام علي بن أبي طالب
٢٢ الحسين بن علي
٢٢ أبو الأسود
٢٤ شبيب بن البرصاء
٢٥ سعدون المجنون
٢٦ حميد بن ثور
٢٧ ميسون بنت بحدل

٢٨	مالك بن دينار
٢٩	الطرماح
٣٠	الفرزدق
٣١	عبد الله بن معاوية
		الباب الثاني :
٣٥	في العصر العباسي
٣٥	ربيعة الرقي
٣٦	القاسم بن إبراهيم
٣٧	القاسم بن صبيح
٣٧	صالح بن عبد القدوس
٤٠	محمد الباهلي
٤١	العلوي البصري
٤٢	صوت
٤٢	محمد بن يسير
٤٤	سفيان الثوري
٤٦	الفضيل بن عياض
٤٦	بشار بن برد
٤٩	الحسين بن مطير
٥٠	أحدهم
٥١	الخليل بن أحمد
٥٣	العتابي

٥٥	ابن المبارك
٥٩	ريحانة
٥٩	ميمونة
٦١	الغزال
٦١	البهلول
٦٤	أبونواس
٧٣	علي الرضا
٧٤	صوت
٧٥	أبو العتاهية
٨٧	محمود الوراق
٩١	الإمام الشافعي
٩٥	منصور التميمي
٩٨	أحمد بن يوسف
٩٩	الحزيمي
١٠٠	أبو تمام
١٠٤	ابن الرومي
١٠٧	ابن علوان
١٠٨	بكر بن حماد
١١٠	بعضهم
١١١	ابن المعتز
١١٣	الألبيري

١١٤	سريح بن يوسف
١١٥	ابن بسام
١١٦	ابن عبد ربه
١٢٠	ابن أبي الدنيا
١٢١	البحثري
١٢١	بشر الحافي
١٢٤	أحمد بن أبي سليمان
١٢٦	كشاجم
١٢٧	حرب بن المنذر
١٢٧	بعضهم
١٢٨	الفارابي
١٢٩	ابن الجوزي
١٣٠	ابن أبي رندقة
١٣١	ابن جبير
١٣٥	بعضهم
١٣٥	بعضهم

الباب الثالث

١٣٧	في ما بعد العصر العباسي
١٣٧	ابن الترددة
١٣٩	عمر الأنسي
١٣٩	الحسن بن السهيل

١٤٢	ابن عطيف
١٤٣	محمد الكواكبي
١٤٥	إسماعيل صبري
١٤٦	رشيد عطا الله
١٤٧	حمزة الملك
١٤٨	التيجاني البشير

مطابع يوسف بيضون
تيلفون - هاتف : ٨٣٧٦٦٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٤٦٠٧٤٣

هذا الكتاب، وهو واحد من بضعة كتب يتناول كل منها غرضاً من أغراض الشعر الغنائي، يرمي إلى اطلاع القارئ على أروع ما جادت به قرائح الشعراء العرب في الزهد، على امتداد أعصر الأدب العربي. ولئن كان من أهم ما يعلق بالذهن من معاني الزهد، الرغبة عن الشيء، وعدم الحرص عليه، والقناعة، والاكتفاء بالحاجة، والرضى بالقليل، فإن ثمة معاني أخرى قد لا تقل أهمية عن الأولى، وهي طبعت شعر الزهد بطابعها المميز فدفعت به قدماً إلى الأمام، وبوأتها مكانة عالية في الشعر العربي، عنيبنا الكف عن المحارم، والتوبة النصوح إلى الله، والتضرع إليه، ونهي النفس عن الهوى. . . وفي جميع الأحوال فإن الغاية من هذا الكتاب، وكما ألمعنا من قبل، هي اطلاع القارئ على أروع ما قيل في الزهد، مما يهذب النفس، ويزيدها رقة وشفافية وصفاء، هذا فضلاً عما يرضي الذوق، ويشير الإحساس بروعة الأداء الشعري والجمال التعبيري.